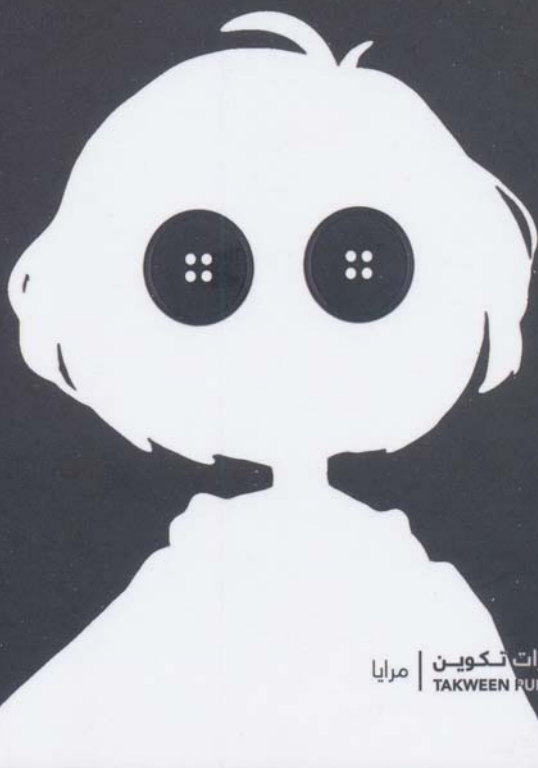


2020
6.1.2020

نیل غایمان

کورالاین

ترجمة: هشام فهمي



منشورات تكوين | مرايا
TAKWEEN PUBLISHING



نیل غایمان

کورالاین

روایۃ

ترجمۃ

هشام فہمی



كوالاين

الكاتب: نيل غامان
عنوان الكتاب: كورالين
ترجمة: هشام فهمي

تصميم الغلاف: يوسف العبدالله
تنضيد داخلي: سعيد البقاعي

ر.د.م.ك: 3-40-723-9921-978
الطبعة الأولى - سبتمبر / أيلول - 2019
2000 نسخة

جميع الحقوق محفوظة للناسر ©

منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING



الكويت - الشويخ الصناعية الجديدة

تلفون: 40 04 81 98 965 +

بغداد - شارع المتنبي، بناية الكاهجي

تلفون: 60 58 11 00 964 +



publishing@takweenkw.com



[takweenkw](https://www.facebook.com/takweenkw)



www.takweenkw.com



[@takweenKw](https://twitter.com/takweenKw)

بدأتُ هذه القصة من أجل هولي
وأنهيْتُها من أجل مادي

«الحكايات الخُرافية حقيقيّة وأكثر، ليس
لأنها تقول لنا إن للتُّنانين وجوداً، بل
لأنها تقول إن التُّنانين قابلة للهزيمة».

ج. ك. تشسترتون

مقدّمة

انتقلنا إلى شقّتنا في منزل ليتلميد، القائم في بلدة نَتلي الصّغيرة بمقاطعة ساسكس بجنوب إنجلترا، في سنة ١٩٨٧. في الماضي -كما أخبرني مالكة العجوز السّابق، الذي باعه لاحقاً لاثنين من البنّائين المحليّين- بُني ليتلميد ليكون قصراً بضیعة طیب ملك إنجلترا شخصياً. آنذاك كان قصراً، لكنه حوّل فيما بعد إلى شقق منفصلة.

كانت الشقّة رقم أربعة التي سكنا بها مكاناً جيّداً، وإن اتّسمت بشيء من الغرابة. فوقنا عائلة يونانيّة، وتحتنا عجوز صغيرة الحجم شبه كفيفة، اعتادت الاتّصال بي كلّما صدرت حركة من أطفالي الصّغار، قائلة إنها لا تدري ما يحدث بالأعلى بالضبط، لكن لا بدّ أن هناك قطيعاً من الأفيال. لم أعرف يقيناً قطّ عدد الشقق في المنزل، أو كم منها مشغولة.

ضمّت الشقّة ردهةً تمتدّ بطولها، ردهةً فسيحةً كالغرفة، في طرفها باب خزانة ملابس معلّق كمرآة.

حين بدأتُ تأليف كتابٍ لابنتي هولي ذات الأعوام الخمسة، جعلتُ أحداثه تدور في هذا المنزل. بدا الأمر سهلاً، فهذه الطريقة لن أضطرَّ إلى أن أشرح لها مكان كلِّ شيء. بعض الأشياء غيَّرتُه بالطبع، فبدلتُ موضع غرفة نوم هولي بغرفة المعيشة، ومن غرفة الاستقبال في المنزل الذي نشأتُ فيه أخذتُ باباً مغلقاً من ألواح خشب السَنديان يُفَتَّح على حائطٍ من القرميد، بالإضافة إلى إحساسٍ بالمكان.

كان ذلك المنزل كبيراً قديماً، وقد قُسمَ إلى شقَّتَيْن قبيل انتقالنا إلى هناك. أقمنا في مسكن الخدم الذي كان لنا بأكمله باستثناء غرفة واحدة، هي غرفة الاستقبال ذات الحوائط المصنوعة من ألواح السَنديان «والمحفوظة لأفضل الضيوف فقط»، وتضمُّ في طرفها باباً كان مدخل العائلة في السابق، لكنه لا يقود الآن إلى أيِّ مكان، بل يُفَتَّح على حائطٍ من القرميد.

أخذتُ تلك الغرفة وذلك الباب، علاوةً على الغرفة الأمامية في منزل جدِّي (المحفوظة لأفضل الضيوف فقط، لا للعائلة، وعلى جدرانها صور الفاكهة المرسومة بألوان الزيت على طريقة الطبيعة الصامتة)، ووضعتُ كلَّ هذا في الكتاب الذي بدأته.

كان عنوان الكتاب «كوراالين». على لوحة المفاتيح كتبتُ «كارولالين»، لكنني أخطأتُ الهمزاء، ثم إنني نظرتُ إلى كلمة «كوراالين» التي خرجتُ وعلمتُ أنها اسم شخصيَّة ما، وأردتُ أن أعرف ما حدث لها.

لطالما أحببت هولي القصص المخيفة التي تحكي عن السّاحرات
والفتيات الصّغيرات الشّجاعَات. تلك هي القصص التي تعودت
أن تحكيها لي، وهكذا قرّرتُ أن تكون قصّة هولي مخيفةً.

كتبْتُ افتتاحيّةً حذفتها لاحقاً، وكانت تقول: «هذه قصّة
كورالايِن، التي كانت صغيرة الحجم بالنّسبة إلى سنّها، ووجدت
نفسها في أحلك الأخطار.

قبل نهاية كلّ شيءٍ رأَت كورالايِن ما يقبع وراء المرايا، ونجّت
بمشقّةٍ من يدٍ سيّئة، وواجهت أمّها الأخرى مباشرةً. أنقذت أبويها
الحقيقيّين من مصيرٍ أسوأ من الموت، وانتصرت على الرغم من
المصاعب الهائلة.

هذه قصّة كورالايِن، التي فقدت أبويها ووجدتها ثانيةً،
وهربت (بشكلٍ ما) دون أذى (إلى حدٍّ ما)».

توقّفتُ عن كتابة قصّة هولي عندما انتقلنا إلى أمريكا، (وكنْتُ
أكتبها قبل ذلك في وقتي الخاص، ثم لم يُعد يبدو أن هناك «وقتاً
خاصّاً» لي)، وبعد ستّة أعوام عدتُ إلى القصّة واستأنفتُ الكتابة
من الجُملة التي توقّفتُ عند متّصفّها في أغسطس ١٩٩٢.

كانت تقول: «قالت كورالايِن: «أهلاً. كيف دخلت هنا؟»،
فلم يردّ القطُّ بشيءٍ، ونزلت كورالايِن من الفِراش».

بدأتُ الكتابة من جديد، إذ أدركتُ أنني إذا لم أُنهِ القصّة
فستكون ابنتي الصّغرى مادي قد كبرت عليها كثيراً لدى فراغي
منها. بدأتُ القصّة من أجل هولي، وأنهايتها من أجل مادي.

والآن كنا نَقْطُنْ بمنزلٍ قديمٍ مبني على الطَّراز القوطي في قلب أمريكا، به بُرج بارز عند زاويته وشُرْفَةٌ خارجيَّةٌ تلتفُّ حوله وتقود إليها درجات. إنه منزل شَيْدِه منذ أكثر من مئة عام مُهاجر ألماني كان فنَّاناً ويعمل في الكارتوجرافيا (أي يرسم الخرائط)، ويُقال إن ابنه هنري كان أول رجلٍ يُضيف محرَّكاً إلى القارب أو إلى الدراجة، ويُوصَف بأنه «أبرز المبدعين في تاريخ سيَّارات السَّباق».

والآن وقد عدتُ إلى كتابة «كوراالين» كنتُ لا أزال أعاني ضيق الوقت، فاعتدتُ كتابة خمسين كلمةً في الفراش كلَّ ليلة قبل أن أخلد إلى النّوم. ثم إنني ذهبتُ في رحلة بحريَّة لجمع التبرُّعات من أجل إدراج قصص الكوميكس في التَّعديل الأول بالدُّستور الأمريكي (المعني بحريَّة التَّعبير)، وأنهيتُ القصَّة في كوخٍ صغيرٍ يطلُّ على بحيرة في الغابة.

التقطَ صديقي الفنَّان دايف ماكين صُوراً لليتلميذ، ثم تلاعب بها ليرسم المنزل على غلاف «كوراالين» الخلفي.

دعاني هنري سيليك إلى الاستوديو حين صنعَ فيلمه التَّحريك بطريقة إيقاف الصُّورة المقتبس عن «كوراالين». كانت هناك عدَّة تجهيزات مبنية للفيلم، كلُّ منها وراء ستار أسود، وقد أراني هنري بفخر المنزل الذي تعيش فيه كوراالين في الفيلم، وقد انتقلتُ من مكانٍ ما في إنجلترا إلى أوريغون، وأصبح اسم المنزل الذي تَسْكُن به «القصر الوردِي».

قلتُ لهنري: «هذا منزلي».

وكان كذلك. قصر هنري سيليك الوردي هو المنزل الذي أقيم فيه الآن، بالبرج البارز عند الزاوية والشرفة الخارجية وكل شيء. لا أحد منا يدري بالضبط كيف حدث هذا، لكنه بدأ ملائماً على نحو غريب لكتاب بدأ من أجل ابنة في منزل، وانتهى من أجل أخرى في منزل آخر.

صدر الكتاب في سنة ٢٠٠٢ وأحبه الناس وفاز بجوائز، لكن الأهم من هذا أنه نجح، على الأقل بالنسبة إلى بعض الناس.

لقد أردت أن أكتب قصة لابتني تُخبرها بشيء ليتني عرفته في صباي: أن الشجاعة لا تعني أنك لست خائفاً. الشجاعة معناها أن تكون خائفاً، خائفاً جداً، خائفاً للغاية، لكنك تفعل الصواب رغم ذلك.

وهكذا الآن، بعد عشرة أعوام، بدأت ألتقي نساء يُقلن لي إن «كوراالين» ساعدتهن على احتمال أوقات عصيبة مرّت بحياتهن، إنهن فكرن في كوراالين حين شعرن بالخوف، ورغم ذلك فعلن الصواب.

وهذا، أكثر من أي شيء آخر، يجعل الأمر كله يستحق العناء.

نيل غايان

٥ ديسمبر ٢٠٠٥

(١)



اكتشفت كورالين الباب بعد فترة قصيرة من انتقالهم إلى المنزل.
هو منزل قديم للغاية، يضمُّ عُلْيَةً تحت السَّقْف وقبواً تحت
الأرض وحديقة كثيفة الحشائش فيها أشجار عجوز ضخمة.

لا تملك عائلة كورالين المنزل بأكمله، لأنه أكبر من أن تستطيع
ذلك، ولذا تملك جزءاً منه فقط، في حين يَقْطُن آخرون بالمنزل
القديم.

تُقيم الآنسة سبينك والآنسة فورسيل بالطابق الأرضي في
الشَقَّة الواقعة تحت شَقَّة كورالين، وكلتاهما امرأة مسنَّة ذات جسم
ممتلئ مستدير، وتتقاسمان الشَقَّة مع عددٍ من كلاب الهالاند تِرِيزِ
المتقدِّمة في السِّن، لها أسماء مثل هاميش وآندرو وجوك. فيما مضى
كانت الآنسة سبينك والآنسة فورسيل ممثلتين، كما أخبرت الآنسة
سبينك كورالين عندما التقَّتا أول مرَّة.

«الحقيقة يا عزيزتي كارولان...»، قالتها الآنسة سبينك مخطئة
في اسم كورالين، «... أنني والآنسة فورسيل كنا ممثلتين شهيرتين

في زمننا، كنا نُمثِّل على خشبة المسرح يا حُبُوتِي. أوه، لا تدعي هاميش يأكل كعكة الفواكه وإلَّا ستؤْلِه معدته طوال اللَّيلِ».

قالت كورالالين: «اسمي كورالالين. ليس كارولالين بل كورالالين».

في الشَّقة الواقعة تحت سقف المنزل وتعلو شقة كورالالين يَسْكُن رجل عجوز مجنون له شارب كبير، وقد قال لكورالالين إنه يُدْرِب سيركاً للفئران، لكنه لا يسمح لأحدٍ بأن يراه.

«ذات يوم أيتها الصَّغيرة كارولالين، حين تُصبح جاهزةً تماماً، سيرى العالم كلُّه الأعاجيب التي تصنعها فئران سيركي الصغيرة. تسأليني لم لا يُمكنك رؤية السيرك الآن؟ أهذا سؤالك؟».

أجابَت كورالالين بهدوء: «لا، بل طلبتُ منك إلَّا تدعوني بكارولالين. اسمي كورالالين».

واصلَ ساكن الطَّابق العلوي: «لا يُمكنك رؤية الفئران الآن لأنها ليست مستعدةً ولم تتدرَّب على فقراتها، كما أنها ترفض عزف الأغاني التي كتبتها لها. كلُّ الأغاني التي كتبتها للفئران تقول «أوميا أوميا»، لكن الفئران البيض لا تريد أن تعزف إلَّا «تودل أودل» فقط. أفكِّر في تجربة أنواع أخرى من الجُبنة معها».

لم تحسب كورالالين أن هناك سيرك فئران حقاً، وخطرَ لها أن العجوز اختلقَ القصةَ كلَّها.

خرجت كورالالين للاستكشاف في اليوم التَّالي لانتقالهم إلى المنزل.

استكشفت كورالين الحديقة فوجدتها كبيرة، في طرفها الأقصى ملعب تنس قديم، لكن لا أحد في المنزل يلعب التنس، ولذا فثمة ثقب في السياج المحيط بالملعب، وتكاد الشبكة تبلى تماماً. هناك أيضاً حديقة وردٍ قديمة ملأى بالشجيرات التالفة ناقصة النمو، بالإضافة إلى حديقة للنباتات التي تنمو بين الصُخور، تحتوي على الصُخور وحدها دون النباتات، وحلقة جنّيات^(١) من الفطر البُني الرّخو الذي يُصدِر رائحةً شنيعةً إذا خطوت فوقه دون أن تقصد.

وهناك بئر أيضاً. في اليوم الأول لانتقال عائلة كورالين إلى المنزل خصّت الأنسة سبينك والأنسة فورسيل البئر بالذكر، ووضّحتا لها كم هي خطيرة، ونبّهتاها إلى الابتعاد عنها تماماً، وهكذا انطلقت كورالين تبحث عن البئر لتعرف مكانها من أجل أن تتحاشاها كما ينبغي.

عثرت كورالين على البئر في اليوم الثالث وراء أجمة من الأشجار في روضة نباتاتها مفرطة في النمو تُجاور ملعب التنس، ووجدتها دائرة واطئة من القرميد تكاد تتوارى وسط أعواد العُشب الطويلة. كان أحدهم قد غطّى البئر بالأواح الخشب لتحول دون سقوط أحدهم، وفي أحد الألواح ثقب قُضت كورالين فترة بعد الظّهر تُلقي حَبّات الحصى وجوز البلوط عبره، ثم تنتظر وتحسب

(١) حلقة الجنّيات هي حلقة من عيش الغُراب تنمو بشكل طبيعي، ويُطلَق عليها هذا الاسم في اللُّغات الأوروبيّة لارتباطها في الثّقافة بممارسة السّحر والسّعوذة في القرون الوُسطى. (المترجم).

الوقت المارَّ إلى أن تسمع صوت «بلوب»، فتعرف أنها سقطت في الماء بعيداً بالأسفل.

انطلقت كورالين تبحث عن الحيوانات أيضاً، فوجدت قُنْذاً وجلد ثعبان (لكن لا ثعبان) وصخرة تُشبه الضُّفدع تماماً وِضْفدعاً يُشبه الصَّخرة بالضُّبط.

ووجدت أيضاً قطعاً أسود تبدو عليه الغطرسية، جلسَ على الأسوار وأجذال الأشجار يُراقبها، وإن فَرَّ فوراً كلَّما حاولت الاقتراب لتلعب معه.

على تلك الوتيرة قضت كورالين أول أسبوعين لها في المنزل، تستكشف الحديقة والأراضي المحيطة.

كانت أمُّها تجعلها تعود إلى داخل المنزل لتناول وجبتي الغداء والعشاء، وقد حرصت كورالين على ارتداء ثيابٍ ثقيلة متى خرجت، فصيف ذلك العام أكثر برودةً من المعتاد، لكنها ظَلَّت تَخْرُج للاستكشاف كلَّ يوم، إلى أن جاء اليوم الذي سقطت فيه الأمطار، وهو ما جعلها تضطرُّ إلى البقاء في الدَّاخل.

تساءلت كورالين: «ماذا أفعلُ؟».

أجابت أمُّها: «اقرئي كتاباً، شاهدي فيلماً، العبي بلُعبكِ، اذهبي وأزعجي الأنسة سبينك والأنسة فورسيل أو العجوز المجنون بالطَّابق العلوي».

«لا، لا أريدُ أن أفعل شيئاً من ذلك، أريدُ أن أستكشف».

قالت أم كورالين: «لا يهمني ما تفعلين حقاً ما دُمّت لن نُحدثي فوضى».

ذهبت كورالين إلى النافذة ووقفت تُشاهد المطر المتساقط. لم يكن نوع المطر الذي تستطيع الخروج فيه، بل النوع الآخر، النوع الذي يقذف نفسه من السماء قذفاً وتتناثر قطراته أينما سقطت، نوع المطر الجاد الذي لا يعرف المزاح، وفي الوقت الحالي مهمته إحالة الحديقة إلى مستنقع موحل مبتل.

كانت كورالين قد شاهدت جميع الأفلام التي لديهم وسُمّت من لعبها وقرأت كلّ ما تملك من كتب. شغلت التليفزيون وتنقلت من قناة إلى أخرى إلى أخرى، لكنها لم تجد شيئاً معروضاً إلا البرامج الحوارية ورجالاً يرتدون حُللاً يتكلمون عن البورصة. ثم إنها وجدت شيئاً تُشاهده أخيراً، وكان النصف الأخير من برنامج للتاريخ الطبيعي يتكلّم عن شيء اسمه التلوّن الوقائي، وهكذا راحت تتفرّج على حيواناتٍ وطيورٍ وحشراتٍ تتنكر في هيئة أوراق أو عُصينات شجر أو حيواناتٍ مختلفة لتهرب من كائناتٍ أخرى بإمكانها أن تؤذيها. استمتعت كورالين بالبرنامج، لكنه انتهى سريعاً وبدأ بعده عرض برنامجٍ ما عن مصنعٍ للكعك.

حان الوقت لأن تتكلّم مع أبيها.

كان أبو كورالين في المنزل. كلا أباها يُمارس عملاً ما على الكمبيوتر، أي أنها موجودان في المنزل أكثر الوقت، وكلُّ منهما له غرفة مكتبه الخاصّة.

عندما دخلت قال أبوها دون أن يلتفت إليها: «أهلاً كورالين».
أطلقت كورالين صوتاً ينم عن التذمر، وقالت: «السَّماءُ تُمَطِّرُ».
ردَّ أبوها: «نعم، وابل حقيقي».

قالت كورالين: «لا، إنه مجرد مطر عادي. هل يُمكنني الخروج؟».

«ماذا تقول أمك؟».

«تقول: لن نخرُجَ في طقسٍ كهذا يا كورالين جونز».

«لا خروج إذن».

«لكنني أريدُ مواصلة الاستكشاف».

قال أبوها مقترحاً: «استكشفي الشَّقَّةَ إذن. انظري، هناك ورقة وقلم. أحصي جميع الأبواب والنوافذ، واصنعي قائمةً بكلِّ شيءٍ لونه أزرق، وقومي بحملةٍ لاكتشاف خزان المياه السَّاخنة... ودعيني وشأني لأعمل».

«هل يُمكن أن أدخل غُرْفَةَ الاستقبال؟». غُرْفَةُ الاستقبال هي المكان الذي تضع فيه عائلة جونز الأثاث الثَّمين (وغير المريح) الذي تركته لهم جدَّة كورالين عند وفاتها، وليس مسموحاً لكورالين بدخولها. لا أحد يدخلها أصلاً لأنها محفوظة من أجل أفضل الضُّيوف فقط.

«إذا لم تُحدِثي آيةً فوضى وإذا لم تلمسي أيَّ شيء».

فكرت كورالين ملياً، ثم التقت القلم والورقة وشرعت في استكشاف الشقة من الداخل.

اكتشفت كورالين خزان المياه الساخنة (كان موضوعاً في خزانة في المطبخ).

وأحصت كل شيء لونه أزرق (١٥٣).

وأحصت النوافذ (٢١).

وأحصت الأبواب (١٤).

من بين الأبواب التي وجدتها هناك ثلاثة عشر باباً يُفتح ويُغلق، أمّا الباب الرابع عشر - الباب البني الكبير المصنوع من الخشب المنقوش في ركن غرفة الاستقبال القصي - فموّصد.

سألت أمّها: «إلى أين يقود هذا الباب؟».

«لا يقود إلى أيّ مكانٍ يا عزيزتي».

«لا بُدَّ أنه يقود إلى مكانٍ ما».

هزّت أمّها رأسها نفيّاً، وقالت لكورالين: «انظري...»، ومدّت يدها إلى أعلى لتلتقط مجموعة من المفاتيح المربوطة معاً بخيطٍ من أعلى إطار باب المطبخ، ثم فرزتها بحرصٍ قبل أن تلتقط واحداً هو أقدم المفاتيح وأكبرها حجماً وأكثرها اسوداداً واكتساءً بالصّدأ، ثم دخلت مع كورالين إلى غرفة الاستقبال وفتحت الباب بالمفتاح.

وانفتح الباب على مصراعه.

وكانت أمُّها على حق، فالباب لا يقود إلى أيِّ مكان، بل يُفْتَح على حائطٍ من القرميد.

قالت أمُّ كورالين: «حين كان هذا المكان منزلاً واحداً كان الباب يقود إلى مكانٍ ما، لكنهم سدُّوه بالقرميد ببساطة عندما قَسَمُوا المنزل إلى عدَّة شُقق. على الجانب الآخر الشقَّة الخالية في الجهة الأخرى من المنزل، تلك التي لا تزال معروضة للبيع».

ثم أغلقت الباب وأعادَت المفاتيح إلى مكانها على إطار باب المطبخ، فقالت كورالين: «لكنكِ لم تُصديه».

هزَّت أمُّها كتفها قائلة: «وما الدَّاعي؟ إنه لا يقود إلى أيِّ مكان». ولم تُقل كورالين شيئاً.

كان الظلام يكاد يحلُّ تماماً بالخارج الآن، والمطر لا يزال ينهمر طارِقاً النَّوافذ بقطراته ومُحِيلاً أضواء السيَّارات في الشارع إلى بُقع غير واضحة المعالم.

توقَّف أبو كورالين عن العمل وأعدَّ العشاء لثلاثتهم.

قالت كورالين باشمئزاز: «دادي، لقد أعددت واحدة من الوصفات إياها مرَّة أخرى!».

ردَّ: «إنها بخنة الكراث والبطاطس، مزينة بالطَّرخون وجُبنة الجروير».

تنهَّدت كورالين، ثم إنها فتحت المجمد وأخرجت القليل من رقائق البطاطس وشرائح الپيتزا الصَّغيرة التي تُسخن في الميكروويف.

قالت لأبيها وهي تُراقب عشاءها يدور ويدور والأرقام الحمر
الصغيرة على الميكروويث تعدُّ تنازلياً إلى الصفر: «تعرف أنني لا
أحبُّ الوصفات».

ردَّ أبوها: «ربما تُعجبكِ إذا جرَّيتها»، فهزَّت رأسها ولم تُعلّق.
ليلتها استلقت كورالين مستيقظةً في فراشها وقد كفَّ المطر عن
الهطول، وكانت على وشك الغياب في النوم عندما سمعت صوت
ت-ت-ت-ت-ت-ت يأتي من مكانٍ ما، فاعتدلت جالسةً في
الفراش.

ثم صوت كريسي...

...سيك.

نزلت كورالين من الفراش وألقت نظرةً عبر الردهة، لكنها لم
تر شيئاً غريباً، ثم إنها تحرّكت قاطعةً الردهة، ومن غرفة نوم أبيها
تناهى إلى أذنيها غطيظ منخفض (من أبيها) وتمتمة متقطّعة (من
أمّها).

تساءلت كورالين إن كانت قد حلمت بذلك الصوت أيّاً كان.

ثم تحرّك شيء ما.

كان أكبر قليلاً من ظلٍّ صغير، وقد انطلق يقطع الردهة المظلمة
مسرّعاً كأنه رُقعة صغيرة من الليل.

تمنّت كورالين ألا يكون عنكبوتاً، فالعناكب تُشعرها بانزعاجٍ
بالغ.

دخل الشيء الأسود غرفة الاستقبال، وتبعته كورالين شاعرةً
بقليلٍ من التوتر.

كانت الغرفة مظلمةً بلا ضوءٍ إلا الآتي من الردهة، فألقت
كورالين -الواقفة عند المدخل- ظلاً طويلاً مشوهاً على بساط
الغرفة، لتبدو كامراًةٍ نحيلة عملاقة.

كانت تتساءل إن كان عليها إشعال الضوء أم لا عندما رأت
الشيء الأسود الصغير يزحف خارجاً بيّطاً من تحت الأريكة. توقف
الشيء لحظةً، ثم اندفع كالطَّلقة بصمّتٍ عبر البساط نحو ركن الغرفة
القصي، الركن الخالي من الأثاث.
وأشعلت كورالين الضوء.

ولم يكن هناك شيء في الركن، لا شيء باستثناء الباب القديم
الذي يُفَتَح على الحائط القرميد.

كانت متأكّدةً من أن أمّها أغلقت الباب، لكنها رآته موارباً
قليلاً الآن، مجرد فتحةٍ ضيقة. اتجهت كورالين نحو الباب وألقت
نظرةً، لكنها لم تجد شيئاً إلا الحائط القرميد الأحمر.

أغلقت كورالين الباب الخشبي القديم وأطفأت الضوء
وعادت إلى الفراش.

في أحلامها رأت أجساداً سوداً تنسلُّ من مكانٍ إلى آخر متحاشيةً
سقوط الضوء عليها إلى أن احتشدت كلها معاً تحت القمر، أجساداً
سوداً صغيرة لها أعينٌ حمراء صغيرة وأسنان صفراء حادة.

وبدأت الكائنات تُغني:

صغارٌ نحن لكننا كثيرون

صغارٌ نحن وكثيرون

كنا هنا قبل أن تنهضوا

وسنكون هنا حين تسقطون

كانت أصواتها مرتفعةً هامسةً وفيها نبرة خفيفة من الأنين،
وقد أشعرت كورالين بعدم الراحة.

ثم حلمت كورالين ببعض الإعلانات التلفزيونية، وبعدها
لم تحلم بشيء على الإطلاق.

(٢)



انقطع المطر في اليوم التالي، لكن ضباباً أبيض كثيفاً نزل على المنزل.

قالت كورالين: «سأذهبُ لأتمشي».

ردّت أمّها: «لا تتبعدي كثيراً، وارتي ثياباً ثقيلة».

ارتدت كورالين معطفها الأزرق المزود بقلنسوة، ولفت وشاحها الأحمر، وانتعلت حذاءها الأصفر المطاط طويل العنق. وخرجت.

صادفت الأنسة سبينك ثمشي كلابها، وقد خاطبت كورالين قائلة: «مرحباً كارولان. طقس رديء للغاية».

ردّت كورالين: «نعم».

قالت الأنسة سبينك: «كنتُ أَلعبُ دور بورشا^(١) فيما مضى.

(١) بطلّة مسرحيّة «تاجر البندقية» لويليام شيكسبير. (المترجم).

الآنسة فورسيل تتكلّم عن لعبها دور أوفيليا^(١)، لكنهم كانوا يأتون لرؤيتي أنا في دور پورشا حين كنا نُمثّل في المسرح».

كانت الآنسة سپينك ترتدي كنزة وسترة من الصوف الثقيل، فبدا جسمها أصغر حجماً وأكثر استدارة من قبل، كأنها بيضة كبيرة مكسوة بالزغب، وقد وضعت على عينيها نظارة سميكة جعلتهما تبدوان ضخمتين.

قالت: «لقد اعتادوا إرسال الزهور إليّ في غرفة الملابس، حقّاً». سألتها كورالين: «من؟».

تطلّعت الآنسة سپينك حولها بحذر، ناظرة أولاً من فوق إحدى كتفيها ثم من فوق الأخرى، تُحدّق إلى الضباب كأن هناك من يُصغي إليهما، ثم إنها همست: «الرجال»، وشدّت مقابض الكلاب بقوة لتتبعها، ومشّت متمايلة صوب المنزل.

وواصلت كورالين تمشيها.

كانت قد قطعت ثلاثة أرباع الطريق حول المنزل عندما رأت الآنسة فورسيل واقفة عند باب الشقة التي تتقاسمها مع الآنسة سپينك.

«هل رأيت الآنسة سپينك يا كارولان؟».

أجابّت كورالين بأنها رأتها، وأضافت أن الآنسة سپينك تُمشي الكلاب في الخارج.

(١) بطلة مسرحيّة «هاملت» لويليام شيكسبير. (المترجم).

قالت الآنسة فورسيل: «أتمنى ألا تضلَّ الطريق. إذا فعلت
فسيثور الطَّفَح الجلدي الذي تُعانيه، سترين. لا بُدَّ أن يكون المرء
مستكشفاً كي يجد طريقه في هذا الضَّباب». علَّقت كورالين: «أنا مستكشفة».

قالت الآنسة فورسيل: «طبعاً يا حبُّوتي. إياك أن تضلِّي طريقك». واصلت كورالين المشي في الحديقة وسط الضَّباب الرَّمادي، وإن أبقت المنزل في مجال بصرها طوال الوقت، وبعد عشر دقائق أو نحوها من المشي وجدت نفسها وقد عادت إلى حيث بدأت. كان الشَّعر فوق عينيها متهدلاً مبتلاً، وأحسَّت بوجهها رطباً. ناداها العجوز المجنون السَّاكن بالطَّابق العلوي: «آهوي! كارولالين!».

أجابَت وهي تكاد لا ترى العجوز من خلال الضَّباب: «أوه، أهلاً».

نزل العجوز السَّلالم المشيَّدة خارج المنزل، التي تمرُّ بباب كورالين الأمامي في طريقها إلى باب شقته، يتحرَّك بتأنٍّ بالغ وقد انتظرت كورالين عند قاعدة السَّلالم.

قال لها: «الفئران لا تحبُّ الضَّباب، إنه يجعل شواربها ترتخي». ردَّت: «أنا أيضاً لا أحبُّ الضَّباب».

مال العجوز على كورالين بشدَّة لدرجة أن أسفل شاربه داعب أذنها، وهمس: «الفئران عندها رسالة لك».

لم تدرِ كورالين ماذا تقول.

قال الرَّجل: «ها هي الرِّسالة: لا تَدْخُلي من الباب. هل يعني لك هذا شيئاً؟».

أجابَت كورالين: «لا».

هَزَّ العجوز كتفيه قائلاً: «غريبة هي تلك الفئران. إنها تُخطئ في بعض الأشياء. لقد أخطأت في اسمكِ كما تعلمين، ظَلَّت تقول كورالين وليس كارولان، ليس كارولان على الإطلاق».

ثم إنه تناولَ زُجاجة حليب من عند قاعدة السَّلام وعادَ أدراجه إلى شَقَّتِهِ في العُلِّيَّة.

دخلَت كورالين شَقَّتَها. كانت أمُّها تعمل في مكتبها، وقد عبَقَ المكان برائحة الزُّهور.

سألت كورالين: «ماذا أفعلُ؟».

سألتها أمُّها: «متى تعودين إلى المدرسة؟».

أجابَت: «الأسبوع المقبل».

همهمت أمُّها، ثم قالت: «أظنُّ أن عليَّ أن أشتري لك ثياباً جديدةً للمدرسة. ذكّرني بهذا يا عزيزتي وإلاَّ سأنسى»، وعادت تَكْتُب ما تَكْتُبه على شاشة الكومبيوتر.

كرَّرت كورالين سؤالها: «ماذا أفعلُ؟».

قالت أمُّها: «ارسمي شيئاً»، وناولتها ورقةً وقلم حبر.

حاولت كورالين أن ترسم الضباب، لكن بعد عشر دقائق من
الرسم ظلت ورقتها بيضاء عليها كلمة

ض ب ا ب

مكتوبة في الزاوية بحروفٍ متعرجة بعض الشيء.

أطلقت كورالين صوتاً ينم عن الضيق وناولت الورقة لأُمها،
التي علقت: «مم، حدائثة الطابع للغاية يا عزيزتي».

تسللت كورالين إلى غرفة الاستقبال، حيث حاولت فتح
الباب القديم في الركن، غير أنها وجدته موصداً من جديد، فحزرت
أن أمها أعادت إيصاده، وهزت كتفها بلا مبالاة.

ثم ذهبت كورالين لترى أباه.

كان ظهره إلى الباب وهو يكتب على لوحة المفاتيح، وإذا دخلت
قال لها بمرح: «اخرجي».

قالت: «أشعرُ بالملل».

اقترح قائلاً دون أن يلتفت: «تعلمي الرقص الإيقاعي».

هزت كورالين رأسها، وسألته: «لم لا تلعب معي؟».

قال: «مشغول»، ثم أضاف: «أعمل»، وظل مديراً ظهره لها وهو
يتابع: «لم لا تذهبي لإزعاج الأنسة سبينك والأنسة فورسيل؟».

ارتدت كورالين معطفها ورفعت القلنسوة وخرجت. نزلت
إلى الطابق السفلي ودقت جرس الأنسة سبينك والأنسة فورسيل،

لتسمع النباح المحموم من الدّاخل إذ جرّت الكلاب السكوتلنديّة إلى الرّدهة، وبعد قليل فتحت الأنسة سبينك الباب، وقالت: «أوه، إنها أنت يا كارولالين. آنجوس، هاميش، بروس، اهدؤوا يا أحبائي، إنها كارولالين فقط. ادخلي يا عزيزتي. هل ترغبين في كوب من الشاي؟».

كانت رائحة ملمّع الأثاث والكلاب تفوح في الشقّة.

أجابّت كورالالين: «نعم من فضلك»، وقادتها الأنسة سبينك إلى الغرفة الصّغيرة المغبّرة التي تسمّيها صالة الاستقبال، وعلى جدرانها صور بالأبيض والأسود لنساء حسانوات، وبرامج عروض مسرحيّة في براونز. كانت الأنسة فورسيل جالسة على أحد الكراسي ذات الدّراعين، تحيك بهمة.

صبّت لكورالالين الشاي في فنجان وردي صغير من الخزف الصّيني العظمي مزوّد بصحن، وأعطيتها معه قطعة جافّة من البسكويت المحشو بالزّيب.

نظرت الأنسة فورسيل إلى الأنسة سبينك والتقّطت حياكتها، ثم أخذت نفساً عميقاً، وقالت: «على كلّ حال يا إپريل، كما كنتُ أقول، عليك أن تُقرّي بأن الكلب العجوز ما زالت فيه حياة».

«ميريام يا عزيزتي، كلتان لم تُعدّ شابّة كما كانت من قبل».

ردّت الأنسة فورسيل: «السيدة أركاتي^(١)، الممرضة في «روميو»،

(١) بطلّة مسرحيّة «الروح المرحّة» لنول كاوارد. (المترجم).

الليدي براكنيل^(١). إنها أدوار لشخصيات مميّزة. لا يُمكنهم إحالتكِ إلى التّقاءُ عن المسرح».

قالت الآنسة سبينك: «اسمعي يا ميريّام، لقد اتّفقنا»، فيما تساءلت كورالين إن كانتا قد نسيّتا وجودها. لم يكن كلامهما مفهوماً، فقرّرت أنهما تخوضان نقاشاً قديماً مريحاً ككرسيّ بذراعين، نقاشاً من النّوع الذي لا يكسب أحد فيه أو يخسر، بل من شأنه أن يدوم إلى الأبد إذا شاء الطّرفان. وهكذا رشفت من شايبا.

خاطبتها الآنسة سبينك قائلةً: «سأقرأ الأوراق إذا أردتِ». «معذرة؟».

«أوراق الشّاي يا عزيزتي، سأقرأ طالعكِ».

ناولت كورالين الآنسة سبينك فنجانها، وحدّقت الآنسة سبينك بنظرٍ قصيرٍ إلى أوراق الشّاي السّود في قاع الفنجان، ثم إنها زمّت شفّتيها، وبعد قليلٍ قالت: «أتدريين يا كارولان؟ إنكِ في خطرٍ رهيب».

أطلقت الآنسة فورسيل صوتاً ساخراً، ووضعت حياكتها قائلةً: «لا تكوني سخيّةً يا إيريل. كُفّي عن إخافة الفتاة. لقد بدأ بصرك يزول. ناوليني هذا الفنجان يا صغيرتي».

حملت كورالين الفنجان إلى الآنسة فورسيل، التي نظرت فيه

(١) بطلّة مسرحيّة «أهميّة أن تكون جاذّاً» لأوسكار وايلد. (المترجم).

بإمعانٍ ثم هزّت رأسها وعادت تنظر، وبعدها قالت: «عجباً! كنت محقّةً يا إپريل، إنها في خطرٍ بالفعل».

قالت الأنسة سبينك بظفر: «أرأيتِ يا ميريام؟ بصري ما زال بكامل قوّته...».

سألت كورالين: «في خطرٍ من ماذا؟».

رمقتها الأنستان سبينك وفورسيل بنظرةٍ خاوية، ثم ردّت الأولى: «لم تقل. أوراق الشاي لا يُعتمد عليها في مثل هذه الأشياء، ليس بشكلٍ دقيق. إنها صالحة للعام لا للخاص».

تساءلت كورالين التي شعرت بشيءٍ من الانزعاج: «ماذا أفعلُ إذن؟».

قالت الأنسة سبينك: «لا ترتدي الأخضر في غرفة الملابس».

وأضافت الأنسة فورسيل: «أو تذكري المسرحيّة السكوتلنديّة».

تساءلت كورالين لم لا يقول أكثر الكبار الذين عرفتهم في حياتها كلاماً معقولاً. أحياناً تسأل نفسها عمّن يحسبون أنفسهم يكلّمون.

قالت الأنسة سبينك: «وعليكِ بالحذر الشديد جدّاً»، ونهضت من كرسيّها وذهبت إلى المدفأة، ومن على رفّها التقطت برطماناً صغيراً خلعت غطاءه وبدأت تُخرج منه أشياء؛ بطّة صغيرة من الخزف الصّيني، وقمعاً لوقاية طرف الإصبع، وعُملة معدنيّة صغيرة من النحاس الأصفر، ومشبكي ورق، وحجراً فيه ثقب.

ثم إنها ناولت كورالين الحجر المثقوب.

سألتها: «ما فائدته؟». كان الثُّقب يَخترق الحجر في متصِّفه وينفذ من طرفه الآخر، وقد رفَعته كورالين ونظَرَت عبره إلى النَّافذة.

أجابَت الأنسة سبينك: «ربما يُساعدكِ... أحياناً تعمل تلك الأحجار جيِّداً مع الأشياء السيِّئة».

ارتدَّت كورالين معطفها، وألَقَت تحية الانصراف على الأنستين سبينك وفورسيل والكلاب، ثمَّ خرجَت.

كان الضُّباب يُحيط بالمنزل كأنه العَمى، فصعدَت كورالين السَّلام بتؤدَّة إلى شقَّة عائلتها، ثم توقَّفت وتطلَّعت حولها.

في الضُّباب كان العالم عالم أشباح، وسألت كورالين نفسها: في خطر؟ بدَّت الفكرة مثيرةً، لا كشيء سيِّئ حقّاً.

عادَت كورالين إلى أعلى وقد أطبقت قبضتها بقوة على حجرها الجديد.

(٣)



في اليوم التالي سطعت الشمس، وذهبت كورالين مع أمها إلى أقرب بلدة كبيرة لشراء ثياب المدرسة. في الطريق أقلنا الأب إلى محطة القطار، إذ سيقضي اليوم في لندن ليُقابل بعض الناس.

لَوَّحت كورالين لأبيها مودعةً، وبعدها ذهبت مع أمها إلى المتجر متعدد الأقسام لشراء الثياب.

شاهدت كورالين قُفَّازين أخضرين من طراز «داي جلو» أعجباها كثيراً، إلا أن أمها رفضت ابتاعهما لها، مفضلةً بدلاً من ذلك أن تبتاع جوارب بيضاء وسروال مدرسة تحتياً لونه كُحلي وأربعة قمصان رمادية وتنورة لونها رمادي داكن.

«لكن كل من في المدرسة يرتدون القمصان الرمادية وما إلى ذلك يا أمي. لا أحد يملك قُفَّازاتٍ خضراء». يُمكنني أن أكون الوحيدة».

تجاهلتها أمها التي انهمكت في الكلام مع البائع عن نوع سُترَةٍ تشتريه لكورالين، وقد اتفقا على أن أنسب شيء أن تكون السُترَة

كبيرة فضفاضة على نحوٍ محرج، على أمل أن يكبر حجم كورالين
ويُناسب مقاسها ذات يوم.

ذهبت كورالين تتجول وتتفرّج على المعروض من الأحذية
المطّاط ذات أشكال الضّفادع والبطّ والأرانب، ثم عادت أدراجها.
«كورالين؟ أوه، ها أنتِ ذي. أين كنتِ؟».

ردّت كورالين: «اختطفّني الكائنات الفضائية، جاءت من
الفضاء الخارجي بمسدّسات الأشعة، لكنني خدعتها بوضع شعرٍ
مستعار والضّحك بلكنةٍ أجنبيةٍ وهربتُ».

«نعم يا عزيزتي. أظنّكِ في حاجةٍ إلى بعض مشابك الشّعْر،
أليس كذلك؟».

«نعم، هو كذلك».

قالت أمّها: «حسن، لنقلِ نصف دزينة على سبيل الاحتياط».

ولم تردّ كورالين بشيء.

في السيّارة في طريق العودة تساءلت كورالين: «ما الموجود في
الشقة الشاغرة؟».

«لا أدري، لا شيء على ما أظنّ. على الأرجح تبدو كشقّتنا قبل
أن نأتي، عُرف خالية».

«هل تحسّبين أنّ دخولها من شقّتنا ممكن؟».

«لا، ما لم تكوني تستطيعين السّير عبر القمر يد يا عزيزتي».

«أوه».

وصلنا إلى المنزل قُرب موعد الغداء، وكانت الشمس تَنْشُرُ أشعتها على الرغم من برودة هذا النهار. أَلَقْتُ أمُّ كورالين نظرةً داخل الثَّلاجة، فوجدت حَبَّة طماطم واحدة حزينَّة، وقطعةً من الجُبنة تنبت منها أشياء خضر، وفي سَلَّة الحُبز لم يكن هناك إلا كِسرة. قالت أمُّها: «الأفضل أن أهرع إلى السُّوق وأحضِر أصابع السَّمك أو شيئاً ما. هل تُريدان المجيء معي؟».

«لا».

قالت أمُّها: «كما تُريدان»، وغادرت، ثم إنها عادت وأخذت حقيبتها ومفاتيح سيارتها وخرجت ثانية.

شعرت كورالين بالملل.

تصفّحت كتاباً كانت أمُّها تقرأه عن السُّكَّان الأصليين في بلدٍ بعيد، وكيف يأخذون كلَّ يوم قطعاً من الحرير الأبيض ويرسمون عليها بالشَّمع، ثم يغمسون الحرير في صبغة، ثم يرسمون المزيد عليه بالشَّمع ويغمسونه في المزيد من الصَّبغة، وبعدها يتخلَّصون من الشَّمع بوضع الحرير في الماء المغلي، وأخيراً يُلقون الرُّسوم الجميلة في النَّار لتحترق عن آخرها.

بدا الأمر عديم الجدوى تماماً لكورالين، لكنها أملت أن هؤلاء النَّاس يستمتعون به.

ولا تزال تَشعُر بالملل، وأمُّها لم ترجع بعدُ.

أخذت كورالين مقعداً ودفعته إلى باب المطبخ، ثم صعدت فوقه ومدّت يدها إلى أعلى، قبل أن تنزل وتلتقط مقشّة من خزانة المقشّات، ثم تصعد فوق المقعد من جديد وتمدّ المقشّة إلى أعلى.

تسينك!

نزّلت من فوق المقعد والتقطت المفاتيح مبتسمة بانتصار، ثم أسندت المقشّة إلى الحائط ودخلت غرفة الاستقبال.

لا تستخدم عائلتها غرفة الاستقبال. لقد ورثوا الأثاث عن جدّة كورالين، بالإضافة إلى طاولة قهوة خشبيّة، ومنضدة جانبيّة، ومطفأة سجائر زجاجيّة ثقيلة، ورسم باللوان الزّيت لوعاء مليء بالفاكهة. لم تستوعب كورالين قطّ سبب رغبة أحدهم في رسم وعاء فاكهة. باستثناء ذلك فالغرفة خالية، لا تحوي تحفاً على رفّ المدفأة أو تماثيل أو ساعات، لا شيء يُضفي عليها طابعاً من الرّاحة أو يوحي بأن هناك من يستخدمها في المعيشة.

شعرت كورالين بالمفتاح الأسود القديم في يدها أكثر برودة من المفاتيح الأخرى، وقد دسّته في ثقب المفتاح، فدارَ بسلاسةٍ مصدراً صوتاً معدنيّاً مرضياً.

توقّفت كورالين وأرهفت سمعها. كانت تعلم أن ما تفعله خطأ، وهكذا أصغّت لسمع إن كانت أمّها قد عادت، لكنها لم تسمع إلّا الصّمت. ثم إنها وضعت يدها على مقبض الباب ودوّرته، وأخيراً فتحت الباب.

انفتح الباب على رواقٍ مظلم، وقد اختفى القرميد كأنه لم يكن

موجوداً من الأصل، وفاحت من الباب المفتوح رائحة زنخة باردة،
رائحة شيء ما قديم للغاية وبطيء للغاية.

ودخلت كورالين من الباب.

تساءلت كيف ستبدو الشقة الشاغرة... إن كان الرواق يقود
إليها بالفعل.

بدأت كورالين تقطع الرواق بتوتر، وقد شعرت بأن فيه شيئاً
مألوفاً جداً.

البساط تحت قدميها هو البساط نفسه في شقتها، وورق الحائط
هو ورق الحائط نفسه، والصورة المعلقة في الردهة هي عينها المعلقة
في ردهتهم في بيتها.

أدركت أين هي. إنها في بيتها، لم تبارحه.

وهزت كورالين رأسها حائرة.

تطلعت إلى الصورة المعلقة على الحائط. لا، ليست هي بالضبط.
الصورة المعلقة في ردهتهم فيها صبي يرتدي ثياباً قديمة الطراز
وينظر إلى بعض الفقايع، لكن التعبير على وجهه الآن مختلف، إذ
يرمق الفقايع بطريقة تشي بأنه ينوي أن يفعل بها شيئاً شنيعاً جداً،
كما أن في نظرة عينيه شيئاً غريباً.

حدقت كورالين إلى عينيه محاولة أن تتبين الفرق بالتحديد.

وكانت على وشك التوصل إليه بالفعل عندما قال صوت:
«كورالين؟».

بدا كصوت أمّها، فدخلت كورالين المطبخ حيث جاء، لترى امرأة واقفة هناك مديرةً ظهرها لها، تبدو كأُمّ كورالين قليلاً، ولكن...

ولكن بشرتها بيضاء كالورق.

ولكن قامتها أطول وقوامها أنحف.

ولكن أصابعها طويلة للغاية لا تكفُّ عن الحركة، وأظفارها الحمر القانية مقوّسة حادّة.

تساءلت المرأة: «كورالين؟ أهذه أنتِ؟».

ثم إنها التفتت، وكانت عيناها زرّين أسودين كبيرين.

قالت المرأة: «موعد الغداء يا كورالين».

سألتها كورالين: «من أنتِ؟».

أجابت المرأة: «أنا أُمّك الأخرى. اذهبي وأخبري أباك الآخر أن الغداء جاهز»، وفتحت باب الفرن، لتدرك كورالين فجأة كم هي جائعة مع الرائحة الشهيّة التي انبعثت. «هيا، اذهبي».

قطعت كورالين الرّدهة إلى مكتب أبيها وفتحت الباب، وفي الدّاخل كان رجل جالس إلى لوحة المفاتيح وظهره لها.

قالت كورالين: «مرحباً. أ- أعني أنها قالت إن الغداء جاهز».

التفت إليها الرّجل.

وكانت عيناها زرّين، كلاهما أسود لامع كبير.

قال: «مرحباً كورالين. إنني أنضوّر جوعاً».

نهَضَ الرَّجُلُ وذهبَ معها إلى المطبخ، حيث جلسا إلى المائدة فيها أحضرت أمُّ كورالين الأخرى الغداء؛ دجاجة مشوية ضخمة وبطاطس محمّرة وبازلاء خضراء صغيرة، والتهمت كورالين الطعام بنهمٍ مستمتعةً بمذاقه الرائع.

قال أبو كورالين الآخر: «إننا ننتظركِ منذ زمنٍ طويل».

«أنا؟».

أجابتها الأمُّ الأخرى: «أجل. كانت الحال مختلفةً هنا من دونك، لكننا علمنا أنك ستأتين ذات يوم، وعندها سنكون أسرةً حقيقيةً. هل ترغبين في المزيد من الدجاج؟».

كان أفضل دجاج أكلته كورالين على الإطلاق. أحياناً تعدُّ أمُّها الدجاج، لكنه دائماً من النوع المعبأ أو المجمّد، جافٌ للغاية ولا مذاق له. أمّا أبوها فيستخدم دجاجاً حقيقياً حين يطهو، لكنه يفعل به أشياء غريبة، كطبخه في النّبيذ المغلي، أو حشوه بالبرقوق المجفّف، أو خبزه في العجين، ودوماً ترفض كورالين أن تمسّه من باب المبدأ. هكذا تناولت المزيد من الدجاج.

قالت كورالين بحذر: «لم أكن أعرفُ أن لي أمّاً أخرى».

ردّت الأمُّ الأخرى وزرّاً عينيها الأسودان يبرُقان: «بالطّبع لك، كلّ النَّاس لهم. خطرَ لي أنك ستُحبّين اللّعب مع الجرذان في غُرفتِكَ بعد الغداء».

«الجرذان؟».

«من الطَّابِق العُلوي».

لم ترَ كورالين جرذاً من قبل قَطُّ إِلَّا على شاشة التليفزيون، وهو ما جعلها تتطلَّع إلى هذا كثيراً. يبدو أن اليوم سيكون مثيراً رغم كلِّ شيء.

بعد الغداء تولَّى أبواها الآخران غسل الأطباق، في حين ذهبت كورالين إلى غُرفة نومها الأخرى.

وجدتها مختلفةً عن غُرفة النَّوم في بيتها، بدايةً بطلائها الذي يجمع بين درجةٍ مزعجة من الأخضر ودرجةٍ غريبة من الوردية.

قرَّرت كورالين أنها لا تُريد أن تضطرَّ إلى النَّوم هنا، وإن كان تنسيق الألوان أكثر إثارةً للاهتمام بكثيرٍ من ذلك الذي في غُرفة نومها الأصليَّة.

في الغُرفة مختلف الأشياء العجيبة التي لم ترَ لها مثيلاً من قبل؛ ملائكة خزفيَّة تعمل بالزُّمبرك وتخفق بأجنحتها في المكان كالعصافير المفزوعة، وكُتُبٌ فيها صُور تتلوَّى وتزحف وتؤمض، وهاجم دينوصورات راحت أسنانها تصطكُ مع مرورها، وصندوق لُعبٍ كامل مليء باللُّعب الرَّائعة.

فكرَّت كورالين: هذا أفضل كثيراً، ثم نظرت من النَّافذة لترى في الخارج المنظر ذاته الذي تراه من غُرفة نومها الأصليَّة؛ الأشجار والحقول ومن ورائها التَّلال الأرجوانية البعيدة في الأفق.

اندفعَ شيء ما أسود يجري على الأرض واختفى تحت الفراش،
فنزَلت كورالين على رُكبتها تُلقِي نظرةً، لترى خمسين عيناً حمراً
صغيرةً تُبادِلها النظر.

قالت كورالين: «أهلاً. أنتِ الجرذان؟».

خرجَت الجرذان من تحت الفراش وقد أخذت تفتح أعينها
وتغمضها بسبب الضوء، لها فرو قصير فاحم السّواد، وأعين حمراء
صغيرة وكفوف وردية كأيدي بشرية دقيقة، وذيل وردية جرداء من
الشعر تُشبه الديدان الناعمة الطويلة.

سألتهما كورالين: «أيمكنك الكلام؟».

هزَّ أكبر الجرذان حجماً وأكثرها اسوداداً رأسه نفيّاً، وخطرَ
لكورالين أن له ابتسامة منقرّة.

سألت كورالين: «حسن، ماذا تفعلين إذن؟».

كوّنت الجرذان دائرةً، ثم بدأ بعضهما يتسلّق بعضاً بحرصٍ
ولكن بسرعة، إلى أن كوّنت هراً استقرَّ على قمّته أكبرها حجماً.

وبدأت الجرذان تُغني بأصواتٍ هامسة عالية:

لنا أسنان ولنا ذيل

لنا ذيل لنا عيون

كنا هنا قبل أن تسقطوا

وستكونون هنا ونحن ناهضون

لم تكن أغنيّة حُلوة، وقد وجدت كورالين نفسها واثقة من أنها قد سمعتها من قبل، أو شيئاً شبيهاً بها، وإن لم تستطع أن تتذكّر أين بالضبط.

ثم تهاوى الهرم وهرعت الجرذان السود تعدو نحو الباب.

كان العجوز المجنون ساكن الطابق العلوي الآخر واقفاً في المدخل وفي يديه قبعة سوداء طويلة، وقد انطلقت الجرذان متسلقة إياه، تحتبى في جيوبه وتدخل من قميصه وساقَي سرواله وياقته.

صعد أكبر الجرذان إلى كتف العجوز، ثم تأرجح على شاربهِ الشائب الطويل متجاوزاً زُرّي العينين الأسودين الكبيرين، واستقرّ على رأس الرّجل.

في غضون ثوانٍ صارت الأمانة الوحيدة على وجود الجرذان هي الكتل تحت ثيابه، التي ما انفكت تتحرّك من بقعة إلى بقعة عبر جسمه، بالإضافة إلى أكبرها حجماً الذي راح يرمق كورالين بعينه الحمراءوين المتألفتين من فوق رأس الرّجل.

وضع العجوز قبّعته على رأسه ليغيب آخر الجرذان عن النّظر، وخاطبها قائلاً: «أهلاً كورالين. سمعتُ أنك هنا. إنه موعد عشاء الجرذان، لكن يُمكنك أن تصعدي معي إذا أردتِ وتُشاهديها تأكل».

في زُرّي عيني العجوز كان شيء ما ينمُّ عن الجوع أشعر كورالين بعدم الرّاحة، فقالت: «لا، شكراً. سأذهبُ للاستكشاف».

أوماً العجوز برأسه بمنتهى البُطء، وقد سمعت كورالين
الجرذان تتهاَمَس، وإن لم تُمَيِّز ما تقوله.

ولم تكن واثقةً من أنها ترغب في معرفة ما تقوله.

كان أبواها الآخران واقفين في مدخل المطبخ إذ قطعت الرّدهة،
ابتسامتيهما متطابقتان ويُلَوِّحان ببُطء.

قالت أمُّها الأخرى: «استمتعي بوقتكِ في الخارج».

وقال أبوها الآخر: «سننتظر عودتكِ هنا».

حين بلغت كورالين الباب التفتت ونظرت إليهما، فرأتها ما
زالا يُراقبانها ويُلَوِّحان وابتسما.

وخرجت كورالين ونزلت السّلام.

(٤)



يبدو المنزل من الخارج مثل المنزل الأصلي بالضبط، أو أنه يكاد يكون مطابقاً له، فحول باب الأنسة سبينك والأنسة فورسيل مصابيح زرق وحمرة تومض وتنطفئ فتتهجى كلمات مضيئة يطارد بعضها بعضاً حول إطار الباب. تومض الأضواء وتنطفئ، تدور وتدور، وتظهر كلمة «العرض!»، تتبعها «المسرحي»، ثم «المذهل!!». وجدت كورالين النهار مشمساً بارداً، تماماً كالنهار الذي تركته.

ثم إنها سمعت من يتنحنح بأدبٍ من ورائها. التفتت كورالين، وعلى السور المجاور لها رأت قطاً أسود كبيراً هو نسخة من القط الأسود الكبير التي رآته عند بيتها. قال القط: «طاب مساؤك».

لصوته نبرة ذلك الصوت الآخر الذي تسمعه في مؤخرة عقلها، الصوت الذي تفكر به، مع فرق أن هذا صوت رجل لا صوت فتاة.

قالت كورالايين: «أهلاً. رأيتُ قِطّاً مثلك في الحديقة عند بيتي.
لا بُدَّ أنك القِطُّ الآخر».

هَزَّ القِطُّ رأسه نفيّاً، وقال: «لا، لستُ القِطُّ الآخر، إنني أنا»،
وحنى رأسه إلى الجانب، وأضاف وعيناه الخضراوان تلمعان:
«إنكم مبعثرون في كلِّ مكانٍ يا معشر البشر، أمّا نحن القِطط - على
خلافكم - فكائنات مترابطة، إذا كنتِ تفهمين ما أعنيه».

«أظنُّ هذا. لكن إذا كنت القِطُّ نفسه الذي رأيته هناك، فكيف
تتكلَّم؟».

ليست للقِطط أكتاف على غرار البشر، لكن بدا كأن القِطَّ يهزُّ
كتفيه بحركة ناعمةٍ واحدة بدأت عند طرف ذيله وانتهت بارتفاع
شواربه، ثم قال: «أستطيعُ الكلام».

«القِطط لا تتكلَّم عندنا».

«حقّاً؟».

«حقّاً».

وثبَ القِطُّ برشاقةٍ من فوق السُّور إلى العُشب قُرب قدمي
كورالايين، ورفعَ عينيه إليها قائلاً بجفاف: «حسن، أنتِ الخبيرة في
هذه الأشياء. ما الذي أعرفه أنا في النهاية؟ إنني مجرد قِط».

وبدأ القِطُّ يبتعد رافعاً رأسه وذيله بكبرياء.

نادته كورالايين: «عُد، من فضلك، أنا آسفة، آسفة حقّاً».

تَوَقَّفَ الْقِطُّ وَجَلَسَ وَبَدَأَ يُنْظِفُ نَفْسَهُ بِعُنَايَةٍ شَدِيدَةٍ، وَعَلَى مَا يَبْدُو نَسِيًّا أَنْ لِكُورَالَايْنِ وَجُوداً عَلَى الْإِطْلَاقِ.

قَالَتْ كُورَالَايْنُ: «يُمْكِنُنَا... يُمْكِنُنَا أَنْ نَكُونَ صَدِيقَيْنِ».

رَدَّ الْقِطُّ: «وَيُمْكِنُنَا أَنْ نَكُونَ عَيْتَيْنِ نَادِرَتَيْنِ مِنْ سُلَالَةٍ عَجِيبَةٍ مِنَ الْأَفْيَالِ الْإِفْرِيقِيَّةِ الرَّاقِصَةِ، لَكِنَّا لَسْنَا كَذَلِكَ»، ثُمَّ أَضَافَ بِلَهْجَةٍ قِطْطِيَّةٍ بَعْدَ أَنْ أَلْقَى عَلَى كُورَالَايْنِ بِنَظَرَةٍ عَابِرَةٍ: «عَلَى الْأَقْلِ لَسْتُ أَنَا كَذَلِكَ».

وَتَنَهَّدَتْ كُورَالَايْنُ.

سَأَلَتْ الْقِطُّ: «أَرْجُوكَ، مَا اسْمُكَ؟ انْظُرْ، أَنَا كُورَالَايْنُ، اتَّفَقْنَا؟».

تَنَاءَبَ الْقِطُّ بِبُطْءٍ وَحَذَرٍ كَاشِفًا عَنْ فَمٍ وَلِسَانٍ لَوْنُهُمَا الْوَرْدِي مَدْهَشٍ، ثُمَّ أَجَابَ: «لَيْسَتْ لِلْقِطِّ أَسْمَاءٌ».

«حَقًّا؟».

«حَقًّا. أَمَّا أَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْبَشَرِ فَلَكُمْ أَسْمَاءٌ، وَهَذَا لِأَنَّكُمْ تَجْهَلُونَ مِنْ أَنْتُمْ، لَكِنَّا نَعْلَمُ مِنْ نَحْنُ وَلِذَا لَا نَحْتَاجُ إِلَى أَسْمَاءٍ».

قَرَّرَتْ كُورَالَايْنُ أَنْ لِلْقِطِّ طَائِعاً مُتَكَبِّراً يَغِيظُ، كَأَنَّهُ فِي رَأْيِ نَفْسِهِ الْكَائِنُ الْمَهْمُّ الْوَحِيدُ فِي أَيِّ عَالَمٍ أَوْ أَيِّ مَكَانٍ.

فِي دَاخِلِهَا أَرَادَ نِصْفَ كُورَالَايْنِ أَنْ تَرُدَّ عَلَيْهِ بِمَتَهَى الْفُظَاظَةِ، فِي حِينٍ أَرَادَ النِّصْفُ الْآخَرَ أَنْ تَكُونَ مَهْذَبَةً دُمَثَةً، وَقَدْ فَازَ النِّصْفُ الْمَهْذَبُ.

«أرجوك، ما هذا المكان؟».

تطلَّع القِطُّ حوله لحظات، ثم قال: «إنه هنا».

«أرى هذا. طيِّب، كيف جئت إلى هنا؟».

«كما جئت، مشيتُ، هكذا».

شاهدت كورالين القِطُّ يمشي على العُشب بخطواتٍ بطيئة،
ثم إنه اختفى وراء شجرة ولم يخرج من الناحية الأخرى، فذهبت
تنظر وراء الشجرة ولم تجده هناك.

سارت عائدةً إلى المنزل، قبل أن تسمع نحنةً مهذبةً أخرى
من خلفها.

كانت من القِطُّ الذي قال: «بالمناسبة، كانت حكمة منك أن
تجلبني معك ما يحملك. لو كنتُ مكانك لاحتفظتُ به».
«ما يحميني؟».

ردَّ القِطُّ: «هذا ما قلته، وعلى كلِّ حال...»، وبتَرَ عبارته وحملقَ
بتركيزٍ إلى شيءٍ ما ليس هناك.

ثم إنه ربَّض على الأرض ضامًّا أطرافه وتقدَّم بتؤدَّةٍ خطوتين
أو ثلاثاً وقد بدا كأنه يتربَّص بفأرٍ خفي، وفجأةً انطلق إلى الغابة
مولياً الأدبار.

واختفى بين الأشجار.

تساءلت كورالين عمَّ يعنيه القِطُّ.

وتساءلت أيضاً إن كانت القِطط كُلُّها تتكلَّم في العالم الذي
جاءت منه لكنها تختار ألا تفعل، أو إن كانت تستطيع الكلام هنا
فقط... أياً كان «هنا».

نزلت كورالين الدَّرجات القرميد التي تقود إلى باب الأنستين
سبينك وفورسبيل الذي ثومض الأضواء الزُّرق والحمَر وتنطفئ
حوله.

كان الباب موارباً بعض الشيء، فطرَقته لكن طرقتها الأولى
جعلته ينفتح عن آخره، ودخلت كورالين.

وجدت نفسها في غُرْفَةٍ مظلمة تنتشر فيها رائحة التُّراب
والمخمل. انغلق الباب من ورائها وحلَّ على الغُرْفَة ظلام دامس،
فتقدَّمت كورالين بحذرٍ إلى غُرْفَة انتظارٍ جانبيَّة صغيرة، وبينما
كانت تتحرَّك مسَّ وجهها شيئاً ناعماً أدركت أنه قُماش، فرفعت
يدها ودفعته لينزاح. ووقفت كورالين ترمش بعينيها على الجانب
الآخر من السَّتائر المخمل في مسرح ضعيف الإضاءة، وبعيداً عند
طرف المكان رأت منصَّة خشبيَّة عاليَّة، وإن كانت خالية عارية، وقد
سُلِّط عليها من أعلى ضوء خافت.

بين كورالين والمنصَّة مقاعد، صفوف و صفوف من المقاعد.
سمعت حركةً كأن هناك من يمشي جازاً قدميه، وأقبل عليها ضوء
يتأرجح من جانبٍ إلى جانب، وحين دنا أكثر رأت أن مصدره كشاف
كهربائي في فم كلبٍ سكوتلندي أسود كبير يشي خطمه السَّائب
بتقدُّمه في السَّن.

قالت كورالين: «مرحباً».

وضع الكلب الكشف على الأرض، ورفع رأسه إليها قائلاً
بخشونة: «حسن، لنرَ تذكرتك».

«تذكرتي؟».

«هذا ما قلته. التذكرة. ليس عندي اليوم بطوله. لا يُمكنك
مشاهدة العرض دون تذكرة».

تنهّدت كورالين، وقالت: «ليست معي تذكرة».

قال الكلب عابساً: «شخص آخر بلا تذكرة. تأتون هنا بمنتهى
الجرأة. «أين التذكرة؟». «ليست معي تذكرة. لا أدري...»، ثم
هزَّ رأسه وكتفيه، وأردف: «تعالى»، والنقطة الكشف بفمه وتقدّم
مسرّعاً في الظلام. تبعته كورالين، ولما اقترب من مقدّمة المنصّة
توقّف وسلّط ضوء الكشف على مقعدٍ شاغر، فجلست كورالين
وابتعد الكلب.

ومع اعتياد عينيها على الظلام تبَيَّن أن شاغلي المقاعد الأخرى
كلاب أيضاً.

صدرَ هسيس من وراء المنصّة، فخَمَّنت كورالين أنه صوت
وضع أسطوانة موسيقية قديمة مخدوشة على مشغل الأسطوانات،
ثم استحال الهسيس إلى صوت أبواق، وخرجت الأنسة سبينك
والأنسة فورسيل إلى خشبة المسرح.

كانت الأنسة سبينك تركب دراجة ذات عجلة واحدة وتتقاذف

الكُرَات في الهواء، في حين راحَت الأنسة فورسيل تتقافز خلفها
حاملة سلةً من الزهور وتثر البتلات على الأرض، ثم إنها بلغت
مقدمة المسرح ووثبت الأنسة سبينك برشاقة من فوق دراجتها،
وانحنت المرأتان المستئنان بشدة.

أخذت الكلاب كلها تضرب مقاعدها بذيلها وتنبج بحماسة،
أمّا كورالين فقد صفقت بأدب.

ثم حلت المرأتان أزراري معطفيهما المستديرين الزَّغِين
وفتحتاهما، لكن المعطفين ليسا كلَّ ما انفتح، إذ انفتح وجهها المرأتين
أيضاً كأنهما غلافان فارغان، ومن الجسدين العجوزين الزَّغِين
الفارغين خرجت امرأتان شابَّتان، كلتاهما نحيلة شاحبة البشرة
وحسنة للغاية، ولكلتيهما زُرَّان أسودان بدلاً من العينين.

ترتدي الأنسة سبينك الجديدة بذلة خضراء ضيقة وتنتعل
حذاءً بُنيّاً طويل الرِّقبة يُغطِّي معظم ساقيهما، فيما ترتدي الأنسة
فورسيل الجديدة فُستاناً أبيض وتضع في شعرها الأصفر الطَّويل
زهوراً.

أراحت كورالين ظهرها على مقعدها.

نزلت الأنسة سبينك عن خشبة المسرح ودوّت ضوضاء
الأبواق إذ راحَت إبرة الجراموفون تحفر في الأسطوانة قبل أن تُرفع.

همسَ الكلب الصَّغير الجالس في المقعد المجاور لها: «هذه فقرتي
المفضَّلة».

التقطت الأنسة فورسيل بدورها سكيناً من صندوق موضوع في الركن، وسألت: «أهذا خنجر ما أرى؟».

صاحت الكلاب الصغيرة في آن واحد: «نعم! إنه خنجر!».

ثنت الأنسة فورسيل ساقها، ومرة أخرى صفقت الكلاب، أمّا كورالين فلم تكلف نفسها عناء التصفيق هذه المرة.

عادت الأنسة سبينك إلى خشبة المسرح وشفعت فخذها، فنبحت الكلاب الصغيرة كلها معاً.

أعلنت الأنسة سبينك: «والآن، يُسعدني ومiriam أن نُقدّم لكم إضافةً جديدةً ومثيرةً لعرضنا المسرحي. هل أرى متطوعاً؟».

لكزها الكلب الصغير الجالس إلى جوارها بكفه الأمامية برفق قائلاً بصوت كالهسيس: «أنتِ المتطوعة».

وهكذا نهضت كورالين وصعدت السلالم الخشبية إلى المنصة.

قالت الأنسة سبينك: «أريدُ أن أسمع تصفيقاً حاداً لمتطوعتنا الصغيرة»، فراحت الكلاب تنبح وتصفّر وتضرب المقاعد المخمل بذيولها. سألت الأنسة سبينك: «والآن يا كورالين، ما اسمكِ؟».

أجابت كورالين: «كورالين».

«ولا توجد معرفة سابقة بيننا، أليس كذلك؟».

تطلّعت كورالين إلى المرأة الشابة الهيفاء وزرّي عينيها الأسودين، وهزّت رأسها نفيّاً ببطء.

قالت الأنسة سبينك الأخرى: «والآن قفي هنا»، وقادت

كورالين إلى لوح قائم على جانب المسرح، ثم وضعت بالوناً فوق رأسها.

ثم سارت الأنسة سبينك نحو الأنسة فورسيل، وعصبت زري عينيها بوشاح أسود، ووضعت السكين في يدها، قبل أن تدورها مرتين أو ثلاثاً وتوجهها في جهة كورالين، التي كتمت أنفاسها وضمت قبضتيها بشدة.

رمت الأنسة فورسيل السكين على البالون لينفجر بصوت عالٍ، وينغرس السكين فوق رأس كورالين مباشرة في اللوح الخشبي، حيث راح يهتز مصدر أرنياء، وأطلقت كورالين أنفاسها. دوى هياج الكلاب من فرط الإثارة.

أعطت الأنسة سبينك كورالين علبة شوكولاتة صغيرة للغاية وشكرتها على حسن تعاونها، ثم عادت كورالين إلى مقعدها.

قال لها الكلب الصغير: «كنت جيدة جداً».

ردت كورالين: «أشكرك».

بدأت الأنسة سبينك وفورسيل تتقاذفان المضارب الخشبية في الهواء، وفتحت كورالين العلبة، فتطلع الكلب الصغير إلى قطع الشوكولاتة برغبة بالغة.

سألته كورالين: «هل تريد واحدة؟».

همس الكلب الصغير مجيباً: «نعم من فضلك. لكن لا شوكولاتة بالتوفي، إنها تجعل لعابي يسيل».

قالت متذكّرة شيئاً أخبرتها به الأنسة فورسيل ذات مرّة:
«ظننتُ أنّ الشوكولاتة مضرّة للكلاب».

ردّ هامساً: «في المكان الذي جئتِ منه ربّما، لكنها كلّ ما نأكله
هنا».

لم تستطع كورالين أن ترى نوع الشوكولاتة في الظلّمة،
فجرّبت أن تأخذ قضمَةً من إحدى القطع ليتّضح أنها بجوز الهند،
وكورالين لا تحبّ جوز الهند، وهكذا أعطت الكلب إياها.
قال الكلب: «شكراً».

ردّت: «عفواً».

كانت الأنسة سبينك والأنسة فورسيل تُقدّمان فقرة تمثيل
الآن، وقد جلسَت الثانية على سُلّمٍ نَقال، ووقفت الأولى عند
قاعدته.

قالت الأنسة فورسيل: «ليس للأسماء معنى! فالذي ندعوه
ورداً يَنْشُر العطر وإن غيّرت اسمه»^(١).

تساءل الكلب: «هل معك المزيد من الشوكولاتة؟».

ناولته كورالين قطعةً أخرى، فيما أجابت الأنسة سبينك الأنسة
فورسيل: «لا أعرفُ كيف أقولُ اسمي لك!».

(١) من ترجمة الأستاذ محمد عناني لمسرحيّة «روميو وجوليت». (المترجم).

همسَ الكلب: «ستنتهي هذه الفقرة قريباً، ثم ستبدآن فقرة الرقص الشعبي».

سألته: «كم يدوم هذا العرض؟».

أجاب: «طوال الوقت، إلى الأبد».

قالت كورالين: «هاك، احتفظ بالشوكولاتة».

شكرها الكلب، ونهضت كورالين، فقال لها: «أراك قريباً».

قالت: «إلى اللقاء»، وخرجت من المسرح وعادت إلى الحديقة، وراحت مضطرة تفتح عينيها وتغمضهما في ضوء النهار الساطع.

كان أبواها الآخران في انتظارها في الحديقة، واقفين جنباً إلى جنب ويتسلمان.

سألتهما أمهما الأخرى: «هل قضيت وقتاً طيباً؟».

أجابت كورالين: «كان وقتاً مثيراً للاهتمام».

سارَ ثلاثتهم عائدين معاً إلى منزل كورالين الآخر، وفي الطريق داعبت أم كورالين الأخرى شعرها بأصابعها البيض الطويلة، لكنها هزت رأسها قائلة: «لا تفعلي هذا». وأزاحت أمها الأخرى يدها.

سألها أبوها الآخر: «هل يروقك المكان هنا؟».

ردت كورالين: «أظنُّ هذا. إنه أكثر إثارة للاهتمام بكثير من بيتنا».

ودخلوا المنزل.

قالت أمُّ كورالايين: «يسرُّني أنه يروقك، لأننا نحبُّ أن نعتبره بيتك. يُمكنك البقاء هنا إلى الأبد إذا أردتِ».

همَّمت كورالايين، ودسَّت يدها في جيبها مفكِّرةً، فمسَّت الحجر الذي أعطته لها الآنستان سبينك وفورسبيل الحقيقتان في اليوم السَّابق، الحجر ذا الثُّقب في منتصفه.

قال أبوها الآخر: «إذا أردتِ أن تبقي فعلينا أن نفعل شيئاً صغيراً فقط كي تستطيعي البقاء هنا إلى الأبد».

دخلوا المطبخ، وفي طبقٍ من الخزف الصِّيني فوق الطَّاولَة كانت بكرة من الخيط القُطني الأسود وإبرة فضيَّة طويلة، وإلى جوارهما زِرَّان أسودان كبيران.

قالت كورالايين: «لا أظنُّ».

قالت أمُّها الأخرى: «أوه، لكننا نريدك أن تبقي، نريدك أن تبقي معنا، وهذا مجرد شيءٍ صغير».

وأضافَ أبوها الآخر: «لن يُؤلِّك».

تعلم كورالايين أنه حين يقول الكبار إن شيئاً ما لن يُؤلِّك فإنه يُؤلم دائماً تقريباً، وهكذا هزَّت رأسها رفضاً.

رسمت أمُّها الأخرى على شفتيها ابتسامةً مشرقةً، فيها راح الشَّعر على رأسها يتمايل كالنبَّاتات في قاع البحر، وقالت: «لا نريد لك إلاَّ الخير»، ووضعت يدها على كتف كورالايين، فتراجعت.

قالت كورالالين: «سأذهبُ الآن»، ووضعت يديها في جيبيها، وانغلقت أصابعها حول الحجر المثقوب.

انسحبت أصابع أمها الأخرى من على كتفها مسرعة كالعنكبوت الخائف، وقالت: «إذا كان هذا ما تريدن». «نعم».

قال أبوها الآخر: «لكننا سنراك قريباً حين تعودين». أصدرت كورالالين صوتاً يشي بالتردد، فقالت الأم الأخرى: «وعندها سنكون عائلة كبيرة واحدة معاً إلى الأبد». تراجعت كورالالين والتفتت، وهرعت لتدخل غرفة الاستقبال، ثم فتحت الباب القابع في الركن. لم يكن الحائط القرميد موجوداً، فقط الظلام، ظلام أسود كمتصف الليل تحت الأرض، يبدو وكأن أشياء تتحرك فيه.

ترددت كورالالين والتفتت وراءها، فرأت أبوين الآخرين يمشيان نحوها متشابكي اليدين وينظران إليها بأزارار أعينهما السود، أو أنها حسبت على الأقل أنهما ينظران إليها، فلم تكن واثقة. مدت أمها الأخرى يدها الحرة، وأشارت برفق بأحد أصابعها البيض، وقالت شفتاها الشاحبتان: «عودي قريباً»، ولو أن صوتاً لم يخرج من بينهما.

أخذت كورالالين نفساً عميقاً وخطت إلى الظلمة، حيث أخذت أصوات غريبة تهمس وريح بعيدة تعوي، وفي هذه اللحظة

صارت كورالين متأكدة من أن في الظلام ورائها شيئاً، شيئاً قديماً
لللغاية وبطيئاً للغاية. كان قلبها يدقُّ بعُنْفٍ بالغ وصوتٍ مرتفع جداً
لدرجة أنها خَشِيت أن ينفجر من صدرها.

وأغلقت عينيها حاجبةً عنيهما الظلام.

في النهاية ارتطمت بشيءٍ ما وفتحت عينيها جافلةً، لتجد نفسها
وقد ارتطمت بكرسيٍّ ذي ذراعين في غرفة الاستقبال في منزلها
الأصلي.

والباب المفتوح وراءها تسدُّه قوالب القرميد الأحمر الخشن.

لقد عادت إلى بيتها.



أوصدت كورالين الباب في غرفة الاستقبال بالمفتاح الأسود البارد، ثم عادت إلى المطبخ ووقفت فوق مقعدٍ وحاولت أن تُعيد حلقة المفاتيح إلى مكانها فوق إطار الباب. حاولت أربع أو خمس مرّاتٍ قبل أن تُسلم مرغمةً بحقيقة أن حجمها ليس كبيراً بما فيه الكفاية، وهكذا وضعت المفاتيح على المنضدة المجاورة للباب. لم تكن أمّها قد رجعت بعد من حملة التسوّق.

فتحت كورالين المجمّد وأخرجت رغيف الخبز المجمّد الاحتياطي الموضوع في القسم السفلي، ثم أعدت لنفسها خبزاً محمّصاً بالمرّبّى وزبدة الفول السوداني، شربت معه كوباً من الماء. وطفقت تنتظر عودة أبويها.

حين بدأ الظلام يحلّ سخّنت كورالين لنفسها البيتزا المجمّدة في الميكروويف، وبعدها جلست تُشاهد التلفيزيون متسائلة عن سبب استحواذ الكبار على جميع البرامج الجيّدة التي تحتوي على الصّباح والجري هنا وهناك.

بعد فترة بدأت تتشاءب، فبدلت ثيابها وغسلت أسنانها وأخذت نفسها إلى الفراش.

في الصباح دخلت غرفة نوم أبيها، لكنها وجدت فراشها مرتباً ولم ينأما فيه، ولم تجدهما.

على الإفطار أكلت السباحيتي المعلبة، وعلى الغداء أكلت قالباً من شوكولاتة الطهو مع تُفّاحة صفراء ذابلة بعض الشيء، لكن مذاقها طيب وحلورغم ذلك.

ولكي تتناول الشاي، فقد نزلت إلى الأنسة سبينك والأنسة فورسيل، حيث تناولت ثلاث قطع من البسكويت المساعد على الهضم، وشربت كوباً من ليمونادة الليمون الأخضر وكوباً من الشاي الخفيف. وجدت الليمونادة لذيذة للغاية مع أن مذاقها يخلو من الليمون تماماً، وبدلاً من هذا فقد كان لها مذاق أخضر يانع فيه لمحة من شيء كيميائي. أعجبت الليمونادة كورالين لأقصى حد، وتمنت أن يشربوها في بيتهم.

سألتها الأنسة سبينك: «كيف حال والديك العزيزين؟».

أجابت كورالين: «مفقودان، لم أرهما منذ البارحة. إنني وحدي. أظن أني أصبحت أسرة من طفل واحد».

«قولي لوالدتك إننا وجدنا قصاصات الصحف الخاصة بمسرح جلاسجو إمباير التي أخبرناها بأمرها. لقد بدت مهتمة بها للغاية عندما ذكرتها ميريام».

قالت كورالايين: «أمِّي اختَفَت في ظروفٍ غامضة، وأعتقدُ أن أبي اختفى أيضاً».

قالت الآنسة فورسيل: «أخشى أننا سنكون بالخارج طوال اليوم غداً يا كارولايين يا حُبُوتِي، سنكون عند ابنة أخت إپريل في رويال تنبريدج ولز».

فرَّجتها المرأتان على ألبوم فيه صُور لابنة أخت الآنسة سپينك، وبعدها عادت كورالايين إلى شقَّتها.

فتحت حصَّالتها ثم ذهبت إلى السوبر ماركت، حيث اشترت زجاجتين كبيرتين من ليمونادة اللَّيمون الأخضر وكعكة شوكلاتة وكيساً جديداً من التفَّاح، ثم عادت إلى البيت وأكلت من هذه الأشياء على العشاء.

بعدها غسلت أسنانها، ودخلت مكتب أبيها وأيقظت الكمبيوتر لتكتب قصَّةً.

قصَّة كورالايين.

كانت هناك فتاة اسمها آبل. كانت ترقُص كثيراً. رقصت ورقصت حتى تحولت قدماها إلى سُجُق النهاية.

طبعت القصَّة وأغلقت الكمبيوتر، ثم رسمت صورة ترقُص فيها الفتاة الصَّغيرة تحت الكلمات المطبوعة على الورقة.

أعدت لنفسها حمَّاماً فيه الكثير جداً من الفقاقيع، فطفحت الفقاقيع من فوق الجانب وانسكبت على الأرض، وبعد ذلك

جَفَّتْ كورالين نفسها وجَفَّتْ الأرض قدر المستطاع، ثم خَلَدَتْ
إلى النَّوم.

استيقَظَتْ كورالين خلال اللَّيْلِ وذهَبَتْ إلى غُرْفَةِ نوم أبويها،
لكنها وَجَدَتْ الْفِرَاشَ مرتَّباً خالياً، وقالت أرقام السَّاعَةِ الرَّقْمِيَّةِ
المنيرة بالأخضر إن السَّاعَةَ ١٢:٣ صباحاً.

وحيدةً تماماً في قلب اللَّيْلِ أَجْهَشَتْ كورالين بالبُكاء، ولم
يتردَّد في الشَّقَّةِ الخالية صوت آخر غير صوت بُكائها.
وبعد فترةٍ صَعَدَتْ إلى سرير أبويها وغَابَتْ في النَّوم.

أيقَظَتْ كورالين كَفَّ حيوَانٍ باردة تُرْبَّتْ على وجهها، ففتَحَتْ
عينها لترى عَيْنَيْنِ خضراوَيْنِ كَبِيرَتَيْنِ تُحَدِّقَانِ إليها، عَيْنِي الْقِطِّ.
قالت كورالين: «أهلاً. كيف دخلت؟».

لم يردِّ الْقِطُّ، ونَزَلَتْ كورالين من الْفِرَاشِ. كانت ترتدي قميصاً
طويلاً وسروال منامة. «هل جئتُ تُخْبِرُنِي بشيء؟»
تثَاءَبَ الْقِطُّ، وهو ما جعلَ عَيْنِيهِ تتوهَّجان بالأخضر.

«هل تعرف مكان مامي ودادي؟».

رَمَشَ الْقِطُّ بعَيْنِيهِ بِبطء.

«أهذه نعم؟».

عَادَ الْقِطُّ يرمش، وقرَّرت كورالين أن معنى هذا نعم بالفعل.
سأَلَتْه: «هَلَّا تأخذني إليهما؟».

نظر إليها القِطُّ، ثم خرج إلى الرّدهة وتبعته كورالين. قطع الرّدهة بطولها وتوقّف في طرفها الذي علّقت فيه مرآة بالطول الطّبيعي، كانت منذ زمنٍ طويلٍ مثبتةً إلى باب خزانة ملابس من الدّاخل. حين انتقلوا إلى المنزل وجدوها معلّقةً هكذا على الحائط، وعلى الرغم من أن أمّ كورالين ذكرت أحياناً نيتها استبدالها بواحدة جديدة فإنها لم تفعل ذلك.

أشعلت كورالين ضوء الرّدهة.

أظهرت المرأة الرّدهة من ورائها كما هو متوقّع، لكنها رأت انعكاس أبونها كذلك، يقفان هناك مرتبكين في انعكاس الرّدهة ويبدو عليهما الحزن والوحدة، وإذا شاهدتهما كورالين لوّحاً لها ببُطءٍ بيدين مرتخيتين، وقد طوّق أبوها أمّها بذراعه.

حدّق أبو كورالين وأمّها إليها في المرأة، وفتح أبوها فمه يقول شيئاً لكنها لم تسمعه على الإطلاق، فأطلقت أمّها زفيراً على زجاج المرأة من الدّاخل، وبسرعةٍ قبل أن يزول البخار كتبت بأنملة سبّابتها:

لنيلد

ثم تلاشى البخار من على الزجاج ومعه أبواها، ولم تعد المرأة تعكس إلّا الرّدهة وكورالين والقِطُّ.

سألت كورالين القِطُّ: «أين هما؟»، فلم يردّ، وإن كان باستطاعتها أن تتخيّل صوته الجاف كذبابةٍ ميتة على عتبة النّافذة في الشّتاء يسألها: أين تحسبنهما؟

قالت كورالين: «لن يعودا، أليس كذلك؟ ليس بإرادتهما الحرّة».

رمش لها القِطُّ، واعتبرتها كورالين إجابةً بالإيجاب.

قالت: «حسن، أظنُّ إذن أن شيئاً واحداً تبقى عليّ أن أفعله».

وهكذا دخلت غرفة أبيها وجلست إلى مكتبه، ثم تناولت الهاتف وفتحت دليل الأرقام لتتصل بقسم الشرطة المحلي.

أجابها صوت أجش لرجل: «الشرطة».

قالت: «مرحباً. اسمي كورالين جونز».

قال الشرطي: «ما زلتِ مستيقظةً بعد موعد نومك، أليس كذلك أيتها السيّدة الصّغيرة؟».

ردّت كورالين عازمةً على عدم الانحراف عن هدفها: «احتمال، لكنني متّصلة للإبلاغ عن جريمة».

«وما تلك الجريمة؟».

«اختطاف، اختطاف شخصين كبيرين في الحقيقة. هناك من اختطف والدّي إلى عالم على الجانب الآخر من المرأة التي في ردهتنا».

سألها ضابط الشرطة: «وهل تعرفين من اختطفهما؟». كان بإمكان كورالين لحظتها أن تسمع الابتسامة التي صاحبت كلامه، فحاولت بجهدٍ إضافي أن تتكلّم مثل الكبار ليأخذها على محمل الجد.

«أظنّهما وقعا في براثن أمّي الأخرى. ربما ترغب في الاحتفاظ

بهما وخياطة أزرارٍ سودٍ على أعينهما، أو ربما أخذتهما لمجرّد أن تستدرجنني إلى الوقوع بين يديها، لستُ واثقةً».

«آه، برائن يديها الشَّيطانيَّة الشرِّيرة، أليس كذلك؟ مم. أتدرين ماذا أقترَحُ يا آنسة جونز؟».

«لا. ماذا؟».

«اطلُبي من والدتك أن تعدّ لك كوباً لذيذاً كبيراً من الشُّكولاتة الساخنة وتُعطيك حضناً دافئاً كبيراً. لا شيء يطرُد الكوابيس كالشُّكولاتة الساخنة والأحضان. وإذا بدأت تُوبِّخك لإيقاظها في هذه السَّاعة قولي لها إن هذا كلام رجل الشُّرطة». كان يتكلَّم بصوتٍ عميق مُطمئن. غير أن كورالاين لم تُشعر بالاطمئنان.

قالت: «سأخبرها بهذا عندما أراها»، ووضعت سماعة الهاتف.

كان القِطُّ الأسود جالساً على الأرض يُسوِّي شعره طيلة المحادثة، والآن نهَض وقادَ الطَّريق إلى الرَّدهة.

عادَت كورالاين إلى غُرْفَة نومها وارتدَّت معطفها المنزلي الأزرق وانتعلت خُفيها، وبعدها بحثت تحت الحوض عن كَشَافٍ كهربائي ووجدت واحداً، لكن بطَّاريَّاته تُوشِك على النُّضوب، فلم يُصدِر إلَّا شعاعاً خافتاً لونه أصفر كالقشِّ. هكذا وضعت الكَشَاف ووجدت عُلبَةً من شموع الطَّوارئ البيض ووضعت إحداها في شمعدان، ثم إنها وضعت ثُفَّاحتين في جيبيها، والتقطت حلقة المفاتيح وخلعت منها المفتاح الأسود القديم.

دخلتْ غُرْفَةَ الاستقبال ونظرتْ إلى الباب، وانتابها شعور بأن الباب بدوره يَنْظُرُ إليها، وهو ما تعلم أنه خاطر سخيْف، وإن علمتْ أيضاً في أعماقها أنه بشكلٍ ما حقيقي.

عادَت إلى غُرْفَةِ نومها ونقَّبت في جيب سروالها الجينز حتى وجدت الحجر المثقوب، ووضعتَه في جيب معطفها.

وأخيراً أشعلت فتيل الشَّمعة بعود ثقاب وشاهدته يُطَقِّطُ ويتقد، ثم تناولت المفتاح الأسود شاعرةً ببرودته في يدها ودستَه في الباب، لكنها لم تُدره.

التفتت كورالين إلى القِطِّ قائلة: «في صِغري، حين كنا نعيش في منزلنا القديم قبل مدَّةٍ طويلة جدًّا، أخذني أبي لتتمشَّى في المنطقة المقفرة بين منزلنا والسُّوق. لم تكن أفضل بقعة للتَّمشي حقًّا، كانت مليئةً بمختلف الأشياء التي يتخلَّص منها النَّاس هناك؛ أواني طبخ قديمة وأطباق مكسورة ودُمى بلا أذرع أو سيقان وعُلب فارغة وزجاجات مهشَّمة. جعلاني قبلها مام وداد أعدهما بعدم الذَّهاب للاستكشاف هناك بسبب الأشياء الحادَّة الكثيرة والتيتانوس وما إلى ذلك، لكنني بقيتُ أقول لهما إنني أريدُ استكشاف المنطقة، وهكذا جاءَ يوم وانتعلَ أبي حذاءه البُني الكبير ووضعَ قُفَّازيه والبَسني حذائي وسروالي الجينز وكنزتي، ثم ذهبنا نتمشَّى. لا بُدَّ أننا مشينا نحو عشرين دقيقة. كنا قد نزلنا التَّلَّ إلى قاع الأخدود الذي يجري فيه جدول حين قال لي أبي فجأةً: «كورالين، اهربي، اصعدي التَّلَّ حالاً!». قالها بطريقةً متوتِّرة، بلحاح، ففعلتُ كما قال، هربتُ

صاعدة التَّلِّ، وبينما أجري آلَمَني شيء في مؤخِّرة ذراعي، لكنني لم أتوقَّف. عندما بلغتُ القمَّة سمعتُ أحدهم يندفع بأقصى سرعته من ورائي. كان أبي يركُض كالخريت، ولَمَّا بلغني التقطَني بين ذراعيه وانطلقَ يعدو بي فوق حافة التَّلِّ، ثم توقَّفنا نلهث ونُحاول التقاط أنفاسنا، ونظرنا إلى الأخدود بالأسفل. وجدنا الحياة دبَّت في الهواء في صورة دبابير صفر. لا بُدَّ أننا دُسنا عُشَّ دبابير في فرع شجرة متعفن ونحن نتمشَّى، وبينما هرعتُ أصعدُ التَّلِّ بقيَ أبي وتعرَّضَ إلى اللدغ ليمنحني وقتاً كافياً للهرب، وسقطتُ نظَّارته حين بدأ هو يجري. لم يُصِبنِي إلَّا تلك اللدغة الوحيدة على مؤخِّرة ذراعي، أمَّا هو فقد أصيبَ بتسع وثلاثين لدغةً في جسده كلُّه. لقد عددناها لاحقاً وهو في المغطس».

شرعَ القِطُّ الأسود يُنظِّف وجهه وشواربه بأسلوبٍ ينمُّ عن نفاذ صبره السَّريع، فمدَّت كورالين يدها وملَّست على مؤخِّرة رأسه وعُنقه، لكن القِطَّ قامَ وسارَ عدَّة خُطواتٍ حتى صارَ بعيداً عن متناول يديها، ثم عادَ يجلس ورفَعَ إليها عينيهِ.

تابعتُ كورالين: «يومها بعد الظَّهر عادَ أبي إلى المنطقة المقفرة ليستعيد نظَّارته، قائلاً إنه لن يتمكَّن من تذكُّر المكان الذي سقطت فيه إذا تركها هناك يوماً آخر. سرعان ما عادَ إلى البيت والنظَّارة على وجهه، وقال إنه لم يكن خائفاً إذ وقفَ هناك يُشاهدني أهربُ والدَّبابير تلدغه وتؤلِّيه، لأنه علمَ أن عليه أن يمنحني وقتاً يكفي للهرب، وإلَّا طاردتني الدَّبابير أيضاً».

أدارت كورالين المفتاح في الباب، فدار بصوت معدني مرتفع.
وانفتح الباب.

لم يكن هناك حائط من القرميد على الجانب الآخر، فقط الظلام،
وفي الممر تهب ريح باردة.

لكن كورالين لم تتحرك لتدخل من الباب، وللقط قالت:
«وقال إنها لم تكن شجاعة منه أن يقف في مكانه ويتعرض إلى
اللدغ، لم تكن شجاعة لأنه لم يكن خائفاً، بل كان هذا الشيء الوحيد
الذي بإمكانه أن يفعله... لكن الرجوع لاستعادة نظارته وهو يعلم
أن الدبابير هناك ويشعر بخوف حقيقي، كانت تلك الشجاعة
الحقيقية».

وأخذت خطواتها الأولى في الممر المظلم.

وأفعمت أنفها روائح التراب والرطوبة والعفونة.

سألها القط وإن لم يكن في نبرته اهتمام حقيقي: «ولم هذا؟».

ردت: «لأنك حين تكون خائفاً ومع ذلك تفعل ما عليك أن
تفعله، فتلك هي الشجاعة».

ألقت الشمعة ظلالاً راقصة غريبة هائلة على الجدار، وسمعت
كورالين شيئاً يتحرك في الظلام، لكنها لم تدرك إن كان إلى جوارها
أم على جانبها، وقد بدا أنه يجاري حركتها أيّاً كانت ماهيته.

تساءل القط: «ولذا ستعودين إلى عالمها؟ لأن أباك أنقذك مرة
من الدبابير».

أجابَت كورالايين: «لا تكن سخيّاً. إنني عائدة من أجلهما لأنها والداي، ولو لاحظا اختفائي فإنني واثقة بأنهما كانا ليفعلا المثل من أجلي. هل تعلم أنك تتكلّم مجدّداً؟».

قال القِطُّ: «يا لحظّي السّعيد برفيقة سفرٍ حكيمة ذكيّة مثلك». ظلّت نبرته ساخرة، لكن شعره الأسود كان منفوشاً وذيله منتصباً في الهواء.

كانت على وشك أن تقول شيئاً مثل: آسفة، أو: ألم تكن المسافة أقصر كثيراً المرّة السّابقة؟ عندما انطفأت الشّمعَة فجأةً كأن أحدهم أخذَ لها يده.

سمعت كورالايين خربشةً وطققةً، وأحسّت بقلبها يدقّ بين ضلوعها، ومدّت يدها... وشعرت بشيءٍ ناعم كشبكة العنكبوت يلمس يديها ووجهها.

وفي طرف الممرّ اشتعل الضّوء الكهربائي ساطعاً لدرجةٍ تعمي بعد الظّلام، وأمام كورالايين بمسافةٍ قصيرة وقفت امرأةٌ أخفى الضّوء من خلفها ملامحها وحدّد جسدها.

نادت المرأة: «كورالايين؟ حبيبتي؟».

صاحت كورالايين: «مام!»، وتقدّمت بسرعةٍ شاعرةً بالشّوق والرّاحة.

«حبيبتي، لماذا هربتِ مني؟».

كانت كورالايين أقرب من أن تتوقّف، وشعرت بذراعَي الأمّ

الأخرى تُطَوَّقانها، ووقفت هناك متبَيِّسةً ترتجف إذ ضَمَّتْها الأمُّ
الأخرى بقوة.

سألت كورالين: «أين أبواي؟».

«نحن هنا»، ردَّت أمُّها الأخرى بصوتٍ يُشَبِّه للغاية صوت
أمِّها الحقيقيَّة لدرجة أنها استطاعت التَّمييز بينهما بالكاد. «نحن
هنا، ومستعدَّان لأن نُحِبَّكَ ونلعب معكَ ونُطْعِمَكَ ونجعل حياتك
مُثيرةً».

سحبت كورالين نفسها، وبتَرَدُّد تركَّتها الأمُّ الأخرى تتراجع.
كان الأب الآخر جالساً على مقعدٍ في الرَّدهة، وقد نهَض مبتسماً
يقول: «تعالى إلى المطبخ. سأعدُّ لك وجبةً خفيفةً. ولا بُدَّ أنك تُريدين
شيئاً تشربينه، الشُّوكولاتة الساخنة مثلاً؟».

قطعت كورالين الرَّدهة حتى بلغت المرأة في نهايتها، لكنها
لم تر انعكاساً فيها إلَّا لفتاةٍ صغيرة تلبس معطفها المنزلي وخُفَّيها،
وتبدو كأنها كانت تبكي قبل فترةٍ قصيرة، إلَّا أن عينيها هاتين عيانان
حقيقيَّتان لا زَرَآن أسودان، ويدها تقبض بشدَّةٍ على شمعدانٍ فيه
شمعة منطفئة.

إلى الفتاة التي في المرأة تطلَّعت، وإليها تطلَّعت الفتاة التي في
المرأة.

وقالت كورالين في أعماقها: سأكونُ مُسجاعةً. لا، بل إنني
مُسجاعة بالفعل.

وضَعَت الشَّمْعَدَانِ عَلَى الْأَرْضِ ثُمَّ التَفَتَتْ. كَانَتِ الْأُمُّ الْأُخْرَى
وَالْأَبَ الْآخَرَ يَنْظُرَانِ إِلَيْهَا بِجُوعٍ.

قَالَتْ: «لَسْتُ مُحْتَاجَةً إِلَى وَجِبَةٍ خَفِيفَةٍ. إِنْ مَعِيَ تَفَاحَةٌ، انْظُرَا»،
وَأَخْرَجَتِ التَّفَاحَةَ مِنْ جِيبٍ مَعْطَفُهَا، ثُمَّ قَضَمَتْ مِنْهَا بِحِمَاسَةٍ
وَشَهِيَّةٍ لَا تَشْعُرُ بِهَا حَقًّا.

لَا حَتَّ خِيبةَ الْأَمَلِ عَلَى وَجهِ الْأَبِ الْآخَرِ، فِي حِينَ ابْتَسَمَتِ
الْأُمُّ الْأُخْرَى كَاشِفَةً عَنْ أَسْنَانِ نَضِيدَةٍ، كُلٌّ مِنْهَا أَطْوَلُ قَلِيلًا مِنْ
الْمُعْتَادِ، وَقَدْ جَعَلَ ضَوْءُ الرَّدْهَةِ زُرِّي عَيْنَيْهَا يَلْتَمِعَانِ وَيَبْرُقَانِ.

«لَسْتُ مُخَيِّفَانِي»، قَالَتْهَا كُورَالَايْنِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ خَوْفِهَا الْبَالِغِ
مِنْهَا. «أُرِيدُ أَنْ يَعُودَ إِلَيَّ وَالِدَايَ».

لَحِظَتْهَا بَدَتْ حَوَافِ الْعَالَمِ كَأَنَّمَا تَتَوَهَّجُ بَعْضُ الشَّيْءِ.

قَالَتِ الْأُمُّ الْأُخْرَى: «مَاذَا تَحْسِبِينَني فَعَلْتُ بِوَالِدَيْكَ الْقَدِيمَيْنِ؟
إِذَا كَانَا قَدْ تَرَكَاكِ يَا كُورَالَايْنِ فَالسَّبَبُ لَا بُدَّ هُوَ أَنَّ الْمَلَلَ أَصَابَهُمَا
مِنْكَ، أَوِ التَّعَبُ. أَمَّا أَنَا فَلَنْ أُمْلِكَ أَوْ أَتَخَلَّى عَنْكَ أَبَدًا. سَتَكُونِينَ
أَمْنَةً مَعِي هُنَا دَوْمًا»، وَبَيْنَمَا كَانَتْ تَتَكَلَّمُ ظَلَّ شَعْرُهَا الْأَسْوَدَ الَّذِي
يَبْدُو مُبْتَلَأًا يَتِمَّائِلُ حَوْلَ رَأْسِهَا كَمَجَسَّاتٍ مَخْلُوقٍ مَا فِي أَعْمَاقِ
الْمَحِيطِ.

قَالَتِ كُورَالَايْنِ: «لَمْ يُصِبهَا الْمَلَلُ مِنِّي، أَنْتِ كَاذِبَةٌ، لَقَدْ
اخْتَطَفْتَهُمَا».

«يَا لِسَخَافَتِكَ يَا كُورَالَايْنِ. إِنَّهُمَا بِخَيْرٍ أَيْنَمَا كَانَا».

لم تردّ كورالين إلّا بالتّحديق إلى الأمّ الأخرى بنظرة حادّة.

قالت الأمّ الأخرى: «سأثبتُ كلامي»، ومسّت سطح المرأة بأصابعها البيض الطويلة، فاكستت بالبُخار وكأنّ تنيّناً تنفّس عليها، ثم انجاب البخار.

وفي المرأة كان النّهار ساطعاً، وكانت كورالين تنظر عبر الرّدهة لترى من مكانها باب شقّتها الأمامي، ثم انفتح الباب من الخارج ودخل أبوها وأمّها حاملين حقائب سفر.

قال أبو كورالين: «كانت إجازة طيّبة».

قالت أمّها بابتسامة سعيدة: «كم هو لطيف أن كورالين لم تعد معنا. الآن يُمكننا أن نفعل كلّ ما أردنا دوماً أن نفعله، كالسّفر خارج البلاد، ولم نكن نستطيع لأن عندنا ابنة صغيرة».

أضاف أبوها: «وأنا مطمئن جدّاً لوجودها مع أمّها الأخرى التي ستعتني بها أفضل منا كثيراً».

وعاد البخار يغشى المرأة ثم يتلاشى تاركاً انعكاس اللّيل.

قالت أمّها الأخرى: «أترين؟».

- «لا، لا أرى، ولا أصدّق كذلك».

أملت كورالين أن ما رآته لتوها ليس حقيقةً، لكنها لم تكن واثقة في قرارة نفسها كما أوحى صوتها، وخالجها قدر طفيف من الشكّ كدودة في قلب ثفّاحة. ثم إنها رفعت ناظرها ورأت التعبير على وجه الأمّ الأخرى، لمحة خاطفة من غضبٍ حقيقي مرّت على

ملاحمها كالبرق في الصَّيف، وأدركت كورالين يقيناً أن ما شاهدته في المرأة ما هو إلا وهم.

جلست كورالين على الأريكة تأكل تُفاحتها.

قالت أمُّها الأخرى: «أرجوك لا تكوني صعبة»، ثم دخلت غرفة الاستقبال وصفقت بيديها مرّتين، فصدر صوت حفيف وظهر جرد أسود رفع عينيه إليها، فقالت له: «اجلب لي المفتاح».

أطلق الجرد صريراً، ثم انطلق داخلاً من الباب الذي يقود إلى شقة كورالين. وبعد قليل عادَ يجرُّ المفتاح وراءه.

سألت كورالين: «لم لا تملكين مفتاحك الخاص على هذا الجانب؟».

أجابها الأب الآخر: «هناك مفتاح واحد، وباب واحد».

خاطبته الأمُّ الأخرى قائلة: «صه. يجب ألا تُصدع رأس حبيبنا كورالين بهذه التفاهات»، ودست المفتاح في الثقب وأدارته. كان القفل متيبساً لكن الصوت الذي خرج منه أكد إصابه.

وأسقطت الأمُّ الأخرى المفتاح في جيب مئزرها.

في الخارج بدأ لون السماء يستحيل إلى رماديٍّ منير، وقالت الأمُّ الأخرى: «ما دُمنا لن نتناول وجبة خفيفة فعلينا بالنوم. سأعودُ إلى الفراش يا كورالين، وأنصحكِ بشدة أن تفعلي المثل»، ووضعت أصابعها البيض الطويلة على كتف الأب الآخر وخرجت به من الردهة.

انَّجَهِت كورالين إلى الباب في أقصى غُرْفَة الاستقبال وشدَّته، فوجدته موصداً بإحكام، ونظرت فوجدت باب غُرْفَة نوم أبيها الآخرين مغلقاً.

كانت متعبة حقاً، لكنها لا ترغب في النوم في غُرْفَتها الأخرى، لا ترغب في النوم تحت سقف واحد مع أمِّها الأخرى.

لم يكن الباب الأمامي موصداً، فخرجت كورالين إلى الفجر ونزلت السَّلام الحجرية وجلست على الدَّرَجَة السُّفْلِيَّة شاعرة بالبرد.

دفعَ شيء ما مغطى بالشَّعر نفسه في جانبها بحركة متملِّقة ناعمة، فوثبت كورالين مذعورة، قبل أن تتنفس الصُّعداء حين رأت أنه القِطُّ الأسود، وقالت: «أوه، إنه أنت».

«أرأيت؟ لم يكن تعرُّفي صعباً، أليس كذلك؟ حتى دون أسماء».

«طيب، ماذا لو أردتُ أن أناذك؟».

قلَّص القِطُّ أنفه ورسمَ على وجهه تعبير اللامبالاة مجيئاً: «مُنَاداة القِطط نشاط مبالغ في تقديره، كأنك تُنادين زوبعة».

سألته كورالين: «وماذا لو أنه موعد العشاء؟ ألا تُريد أن يُناديك أحد حينها؟».

ردَّ القِطُّ: «طبعاً، لكن يكفي أن تصيحي ببساطة: «العشاء!».

«أرأيت؟ لا حاجة إلى الأسماء».

سألته كورالين: «لماذا تُريدني؟ لماذا تُريدني أن أبقى هنا معها؟».

«أظنّها تُريد شيئاً تحبّه، شيئاً ليس نفسها. وربما تُريد شيئاً تأكله أيضاً. التّفرة صعبة مع هذا النّوع من الكائنات».

تساءلت: «هل عندك أي نصائح؟».

بدا القِطُّ كأنه على وشك أن يُلقِي تعليقاً ساخراً آخر، ثم إنه نفّض شواربه، وقال: «عليك بتحدّيها. لا شيء يضمن أنها ستلعب بالعدل، لكن نوعها يحبّ الألعاب والتحدّيات».

سألته كورالين: «وما نوعها هذا؟».

على أن القِطُّ لم يُجِبها، بل تغطّى بجسده كلّه ببساطةٍ وابتعد، ثم توقّف والتفت قائلاً: «لو كنتُ مكانكٍ لدخلتُ. نامي قليلاً، فأمامك يوم طويل».

ثم ذهبَ القِطُّ، وأدركتُ كورالين أنه على حق. هكذا عادتُ تدخلُ المنزل الصّامت، ومرّت بباب غرفة النّوم حيث الأبوين الآخرين... ماذا؟ نائمان؟ منتظران؟ ثم خطرَ لها أنها إذا فتحتُ غرفة النّوم الآن فستجدها فارغة، أو بالأحرى أن الغرفة فارغة بالفعل وستبقى فارغةً حتى اللّحظة التي تفتح فيها الباب بالضبط.

وبشكلٍ ما جعلتُ هذه الفكرة الأمر أسهل.

دخلتُ كورالين المحاكاة السّخيفة لغرفة نومها بلونيهما الوردية والأخضر، وأغلقتُ الباب وسحبَت صندوق اللّعب ووضعتَه أمامه. لن يمنع الصّندوق أحداً من الدّخول، لكنها تأمل أن تُوقظها الضّوضاء التي سيُصدرها إذا حاولَ أحدهم إزاحته.

كانت اللُّعب في الصُّندوق لا تزال غائبةً في النَّوم إلى حدٍّ كبير، وقد تحرَّكت بعض الشَّيء وهممت عندما حرَّكت كورالين صندوقها، ثم عادت تنام. ألقت كورالين نظرةً تحت الفراش باحثَةً عن الجرذان لكنها لم تجدها، ثم خلعت معطفها وخفيها ودخلت الفراش، واستسلمت للنَّوم دون وقتٍ يكفي في التَّفكير في التحدِّي الذي يعنيه القُطُّ.

(٦)



أيقظتها شمس منتصف الصّباح السّاطعة على وجهها مباشرة.
للحظة شعرت بضياح تام، لا تدري أين هي، بل ولا تعرف
يقيناً من هي. مدهش حقاً أن قدراً كبيراً مما يجعلنا نحن مرتبطاً
بالأسرة التي نستيقظ فيها في الصّباح، ومدهشة حقاً هشاشة هذا.

أحياناً تنسى كورالين من تكون وهي مستغرقة في أحلام
اليقظة، تتخيّل نفسها وكأنها تستكشف المنطقة القطبيّة الشّاليّة أو
غابات الأمازون المطيرة أو أعماق إفريقيا، وفقط حين ينقر أحدهم
على كتفها أو ينطق اسمها تعود كورالين جافلةً من بُعد مليون
ميل، وخلال جزء من الثّانية عليها أن تتذكّر من هي وما اسمها
وأن لها وجوداً على الإطلاق.

والآن أشعة الشّمس على وجهها، واسمها كورالين جونز.

ثم إنها رأت لوني الغرفة الأخضر والوردي، وسمعت حفيف
جناحي فراشة ورقية ملوّنة يضربان الهواء عند السّقف، وتعرّفت
المكان الذي استيقظت فيه.

نزلت من الفراش، وقرّرت أن ارتداء منامتها ومعطفها المنزلي وخُفّيتها بالنّهار لا يصحّ، حتى إذا كان معنى هذا أن ترتدي ثياب كورالين الأخرى. (هل هناك كورالين أخرى؟ أدركت أن الإجابة لا، أنها الوحيدة). على أنها لم تجد ثياباً تقليديّة في الخزانة، بل هي أقرب إلى ثياب تنكّريّة، أو -كما تظنّ- ثياب تحبّ أن تكون معلّقة عندها في الخزانة في بيتها. في هذه الخزانة وجدت ثوب ساحرة تنكّري رث، وفزاعة مرقّعة، وثوب مُحاربٍ مستقبلي فيه أضواء رقميّة صغيرة تلتمع وتنطفئ، وفُستان سهره ضيق مغطّى بالرّيش والمرايا. أخيراً عثرت في أحد الأدراج على سروالٍ من الجينز الأسود يبدو مصنوعاً من اللّيل المخملي، وكنزة رماديّة بلون الدُّخان الكثيف، في نسيجها نجوم ضئيلة لها بريق خابٍ.

ارتدت السّروال والكنزة، ثم انتعلت حذاءً طويل العنق لونه برتقالي زاهٍ وجدته في قاع الخزانة.

أخذت تُفّاحتها الأخيرة من جيب معطفها، ومن الجيب نفسه أخذت الحجر المثقوب، ثم وضعت الحجر في جيب سروالها، ولحظتها أحسّت بعقلها يصفو بعض الشيء، كأنها خرجت من ضبابٍ ما كان يُحيط بها.

دخلت المطبخ لكنها وجدته خالياً، وعلى الرغم من هذا فقد كانت متأكّدة من وجود أحدهم في الشقّة، فقطعت الرّدهة حتى بلغت غرفة أبيها، واكتشفت أن أحداً في داخلها بالفعل.

سألت الأب الآخر: «أين الأمّ الأخرى؟». كان جالساً في الغرفة

إلى مكتبٍ يُشبه مكتب أبيها تماماً، إلا أنه لا يفعل شيئاً على الإطلاق، لا يقرأ حتى مجلات البستنة كما يفعل أبوها عندما يتظاهر بأنه يعمل. أجابها وقد بدا عليه الشُّرور بأن هناك أحداً يُكَلِّمه: «بالخارج، تُصلِح الأبواب. هناك مشكلة طفليَّات».

«تعني الجرذان؟».

«لا، الجرذان صديقتنا. طفليَّات من نوعٍ آخر، مخلوق أسود كبير يرفع ذيله عالياً».

«تعني القِطُّ؟».

«بالضَّبْط».

اليوم لا يبدو كأبيها الحقيقي بالضبط، ففي وجهه شيء ما غامض... كعجين الخُبز عندما يبدأ يتنَفَّس فيستوي ما فيه من كُتَلٍ وشقوقٍ وتجاويف.

قال أبوها الآخر: «يجب حقاً ألا أكَلِّمكِ في غيابها. لكن لا تقلقي، فلن تغيب كثيراً. سأبرهنُ لكِ على كرم ضيافتنا البالغ لدرجة أنك لن تُفَكِّرِي في العودة ثانية أبداً»، ثم أغلق فمه وطوى يديه في حِجره.

سألته كورالين: «وماذا أفعلُ الآن؟».

لكن الأب الآخر أشارَ إلى شفّيته دلالةً على الصَّمْت.

«ما دُمت لن تُكَلِّمَنِي حتى فسأذهبُ للاستكشاف».

ردّ: «لا جدوى من ذلك. ليس هناك مكان إلّا هنا. إنها لم تصنع إلّا هذا؛ المنزل والأرض المحيطة به والناس المقيمون فيه. صنعت كلّ هذا ثم شرعت تنتظر»، ثم لاح عليه الحرج وعاد يضع إصبعه على شفّيته كأنه تكلم أكثر من اللازم.

خرجت كورالين من مكتبه ودخلت غرفة الاستقبال، وأنجّمت مباشرة إلى الباب القديم وجذّبه وهزّته، لكن لا، وجدته موصداً بإحكام، والمفتاح مع الأم الأخرى.

تطلّعت في أنحاء الغرفة التي بدت مألوفة للغاية، وهذا تحديداً ما يُشعرها باستغراب شديد. كلّ شيء كما تذكّره تماماً؛ أثاث جدّتها برائحته الغريبة، والصّورة المرسومة لوعاء الفاكهة (عنقود عنب وبرقوقتان وخوخة وثُفّاحة) على الحائط، والمنضدة الخشبيّة الواطئة بأقدامها المنحوتة على شكل أسود، والمدفأة الخالية من الحطب التي تبدو وكأنها تمتصّ الحرارة من الغرفة امتصاصاً.

لكن ثمة شيء آخر، شيء لا تذكّر رؤيته من قبل.
كرة زجاجيّة على رفّ المدفأة.

ذهبت إلى المدفأة ووقفت على أطراف أصابعها والتقطت الكرة، فوجدتها كرة ثلج فيها شخصان صغيران، وقد رجّتها كورالين لتطايّر رقائق الثلج الأبيض ملتصقة وتهوي في الماء.

ثم إنها أعادت كرة الثلج إلى مكانها على رفّ المدفأة، وواصلت البحث عن أبوينها وعن سبيل للفرار.

خرجت من الشقة، ومررت بالبواب المحاط بالأضواء الذي تُقدّم وراءه الأنستان سبينك وفورسيل الآخرين عرضهما إلى الأبد، وتوجّهت إلى الغابة.

في العالم الذي أتت منه كورالين، ما إن تجتاز رُقعة الأشجار لا ترى شيئاً إلاّ الحديقة وملعب التنس القديم، أمّا في هذا المكان فالغابة تمتدّ على مساحةٍ أوسع، وكلّما تقدّمت تجد شكل الأشجار أكثر بساطةً ويقُلُّ الشّبه بينها وبين الأشجار الحقيقيّة.

وسرعان ما بدا منظر الأشجار تقريباً جدّاً، كأنها مجرد صورة لفكرة الأشجار؛ جذوع بُنيّة مائلة إلى الرّمادي من أسفل، ومن أعلى لُطخ مخضرة من شيءٍ ربما يكون الأوراق.

تساءلت كورالين إن كانت الأمّ الأخرى لا تهتمُّ بالأشجار، أم أنها لم تُكلّف نفسها عناء الاهتمام بهذا الجزء لأنها لم تتوقّع أن يتوغّل أحدهم كلّ هذه المسافة.

تابعت المشي.

ثم بدأ الضّباب.

لم يكن رطباً كالضّباب أو الغيم العادي، وليس بارداً أو دافئاً، بل شعرت كورالين كأنها تخطو إلى العدم.

قالت كورالين لنفسها: أنا مستكشّفة، وأحتاج إلى العثور على كلّ الطُّرق الممكنة للخروج من هنا، ولذا سأواصل السّير.

وكان العالم الذي تسير فيه فراغاً أبيض شاحباً، كأنه ورقة

فارغة أو غُرْفَة بيضاء هائلة المساحة، ليست فيه حرارة أو روائح
أو مذاق أو ملمس.

فكَّرت كورالين: ليس ضباباً بالتأكيد، وإن لم تدرِ كنهه رغم
ذلك. لو هَلَمَّ تساءَلت إن كان العمى قد أصابها، لكن لا، إنها ترى
نفسها بمتهى الوضوح، ولو أن لا أرض تحت قدميها، بل ضباب
أبيض كالحليب.

فجأة قال شيء ما من جانبها: «وماذا تحسبين نفسك فاعلة؟».
استغرقت بضع لحظات حتى ركزت عينيها عليه جيِّداً. في
البداية حسبته أسداً يبعد عنها مسافة ما، ثم حسبته فأراً على مقربةٍ
منها، ثم تبَيَّنَ ما هو، وقالت للقط: «إنني أَسْتَكْشِفُ».

كان شعره منفوشاً تماماً وعيناه متَّسعتين وقد دَسَّ ذيله بين
قدميه، ولا يبدو كقطٍّ سعيدٍ إطلاقاً.

«هذا مكان سيئ، إذا كنتِ تُسمِّينه مكاناً، أمّا أنا فلا. ماذا
تفعلين هنا؟».

«أَسْتَكْشِفُ».

«لن تجدي شيئاً هنا. إنه الجزء الخارجي فقط، الجزء الذي لم
تهتمَّ هي بصُّنعه».

«هي؟».

«التي تقول إنها أُمُّكِ الأخرى».

«وما هي؟».

لم يُجِبِ القِطُّ، بل سارَ فقط في الضُّباب الشَّاحِبِ إلى جوار
كوراالين.

ثم بدأ شكّل ما يلوح أمامهما، شكل مرتفع شاهق مظلم.
قالت للقِطُّ: «كنت مخطئاً! ثمة شيء ما هناك!».

ثم بدأ الشَّكل يتجسّد، ليتّضح أنه منزل مظلم يتبدّى لهما من
البياض السَّرمدى.

قالت كوراالين: «لكنه...».

«المنزل الذي غادرته منذ قليل، بالضبط».

«ربما درتُ حول نفسي في الضُّباب لا أكثر».

ثنى القِطُّ طرف ذيله العالي على شكل علامة استفهام، وحنى
رأسه إلى الجانب قائلاً: «ربما درتِ أنتِ حول نفسك، أمّا أنا فلا
بكل تأكيد. إنكِ مخطئة تماماً».

«لكن كيف تبتعد عن شيء ما ومع ذلك ترجع إليه ثانية؟».

أجاب القِطُّ: «الإجابة سهلة. فكّري في شخصٍ يمشي حول
العالم. ستبدئين بالمشي مبتعدةً عن شيء ما وفي النهاية ترجعين إليه».

قالت كوراالين: «هذا عالم صغير».

«إنه كبير بما فيه الكفاية بالنسبة إليها. ما على شباك العناكب إلّا
أن تكون كبيرة كفايةً لاصطياد الذُّباب».

وارتجفت كوراالين.

أخبرت القِطُّ: «قال إنها تُصلح البوابات والأبواب كُلِّها لتمنعك من الدُّخول».

ردَّ بلا مبالاة: «لها أن تُحاول، أوه، نعم، لها أن تُحاول». كانا واقفين الآن تحت مجموعة من الأشجار إلى جوار المنزل، وقد بدت هذه الأشجار طبيعيَّةً كثيراً عن تلك الأخرى. «هناك سُبُل لدخول الأماكن المشابهة هنا والخروج منها تجهلها هي نفسها».

سألته كورالين: «وهل صنعتَ هي هذا المكان إذن؟».

«صنعتَه أو عثرت عليه، ما الفرق؟ في كلتا الحالتين المكان لها منذ زمنٍ طويل للغاية. لحظة...»، وانتفض القِطُّ ثم وثب، وقبل أن يرتدَّ إلى كورالين طرفها كان القِطُّ جالساً يُبَتُّ جرذاً أسود كبيراً بكفه على الأرض، وكأن شيئاً لم يحدث قال كمن يخوض محادثة تقليديَّة: «ليست المسألة أنني أحبُّ الجرذان في الأوقات الطيِّبة، لكن جميع الجرذان في هذا المكان جواسيسها، تستخدمها كأعين وأيدي...»، ثم أطلق القِطُّ سراح الجرذ. جرى الجرذ عدَّة أقدام، قبل أن ينقضَّ عليه القِطُّ بوثبةٍ واحدة ويضربه بقوةٍ بكفٍّ حادَّةٍ المخالب فيما يُبَتُّه بالثَّانية، ثم إنه قال بسعادة: «أحبُّ هذا الجزء. هل تُريدان رؤيتي أفعلها ثانية؟».

ردَّت كورالين: «لا. لماذا تفعل هذا؟ إنك تُعذِّبه».

همهم القِطُّ، وترك الجرذ.

تحركَّ الجرذ متعثراً مترنحاً بضع خطواتٍ ثم بدأ يجري، لكن القِطُّ بضربةٍ واحدةٍ من كفه طَوَّحه في الهواء وأمسكه بفمه.

صاحت كورالين: «توقّف!».

أسقط القِطُّ الجرذَين كَفَّيه الأماميّتين، وزفرَ قائلاً بنبرة كالحريز
الأملس: «ثُمَّ من يفترضون أن نزعة القِطط إلى اللّعب بفريستها
نزعة رحمة، لأنها أحياناً ما تسمح لوجبتها الخفيفة الظّريفة الصّغيرة
بالفرار. كم مرّة حدث أن فرّ عشاؤك منك؟»، ثم إنه التقط الجرذ
بفمه وحمله إلى الغابة ليغيب وراء إحدى الأشجار.

عادت كورالين إلى المنزل. وجدت كلّ شيء صامتاً فارغاً
مهجوراً في الدّاخل، لدرجة أن وقع قدميها على الأرض المفروشة
بالبُسط بدا عالياً، وقد راحت ذرّات الغبار تسبح في شعاع من نور
الشّمس. في أقصى الرّدهة كانت المرآة، وفيها رأت نفسها منعكسةً
تنظر، تبدو أكثر شجاعةً مما تشعّر بالفعل، لكن لا شيء إلّاها في
المرآة، فقط هي الواقفة في الرّدهة.

مسّت يد كتفها، فرفعت ناظرها لترى الأمّ الأخرى تنظر إليها
بزرّين أسودين كبيرين.

«كورالين يا حبيبتي، خطر لي أن نلعب معاً هذا الصّباح ما
دمت قد عدت من تمشيتك. ما رأيك؟ المربّعات؟ العائلة السّعيدة؟
بنك الحظ؟».

قالت كورالين: «لم تظهر في المرآة».

ابتسمت الأمّ الأخرى قائلة: «المرايا ليست جديرةً بالثّقة أبداً.
والآن، ماذا نلعب؟».

هَزَّت كورالين رأسها مجيبةً: «لا أريدُ أن أَلعبَ معكِ. أريدُ أن أعود إلى بيتي وأكون مع والدي الحقيقيَّين. أريدكِ أن تُطلقي سراحهما، أن تُطلقي سراحنا جميعاً».

بمتهى البُطء هَزَّت الأمُّ الأخرى رأسها بدورها، وقالت: «أمضى من ناب الأفعى عقوق الابنة، لكن حتى أكثر الأنفُس كِبْراً قابل للكسر... بالْحُبِّ»، وتراقصت أصابعها البيض الطويلة ممسدةً الهواء.

قالت كورالين: «لا أنوي أن أحبِّكِ أبداً مهما حدث، لا يُمكنكِ أن تجعليني أحبِّكِ».

ردَّت الأمُّ الأخرى: «دعينا نتكلَّم في الأمر»، ودارت ودخلت غُرْفَةَ الجلوس، فتبعَتْها كورالين.

استقرَّت الأمُّ الأخرى على الأريكة الكبيرة، ومن جانبها التقطت كيس تسوُّقٍ وأخرجت منه كيساً ورقياً أبيض ومدَّت يدها به إلى كورالين متسائلةً: «هل تُريدِين واحدة؟».

نظرت كورالين في الكيس متوقِّعةً أنه يحوي التوفي أو كُرَات حلوى الزُّبْدَة، لكنها وجدته مليئاً حتى منتصفه بالخنافس السَّود الكبيرة اللَّامعة، التي يزحف بعضها فوق بعضٍ في محاولةٍ للخروج من الكيس.

قالت كورالين: «لا، لا أريدُ واحدةً».

«كما تشائين»، وبحذرٍ التقطت الأمُّ الأخرى خنفسةً أكبر حجماً

وأشدُّ سواداً من غيرها، وقطعت سيقانها (وبعناية أسقطت السيقان في مطفأة سجاثر زجاجية كبيرة على المنضدة المجاورة للأريكة)، وألقت الخنفسة في فمها وراحت تمضغها بسعادة، ثم أطلقت صوتاً يشي بالتلذذ والتقطت واحدة أخرى.

قالت كورالين: «أنت مريضة، مريضة وشريرة وغريبة الأطوار». سألتها أمها الأخرى بفم مليء بالحنافس السود: «أهذا أسلوب تكلمين به أمك؟». «لست أمي».

تجاهلت أمها الأخرى تعليقها، وقالت: «أظنك نائرة بعض الشيء يا كورالين. ربما يُمكننا ممارسة القليل من التطريز معاً اليوم بعد الظهر، أو الرَّسم بألوان الماء، وبعدها نتناول العشاء، ثم إذا تصرّفتِ بتهذيب فيمكنك أن تلعب مع الجرذان قليلاً قبل أن تنامي، وسأقرأ لك قصّة قبل النوم وأضعك في الفراش وأقبلك». كانت أصابعها الطويلة البيض ترتجف برفق كجناحي فراشة متعبة، وارتعدت كورالين.

قالت كورالين: «لا».

بقيت الأم الأخرى جالسة على الأريكة وقد استحالت فمها إلى خطّ رفيع إذ زمّت شفيتها، ثم ألقت خنفسة سوداء أخرى في فمها، ثم أخرى، كأن الكيس الذي معها يحوي حبّات الزبيب المغطى بالشوكولاتة. حدّق زراً عينيها الأسودان الكبيران إلى

عَيْنِي كورالين بلونها البندقي، والتوى شعرها الأسود اللامع
وتعرج حول رقبتها وكتفها كأن ريحاً لا تراها كورالين أو تشعر
بها تحركه.

ظَلْنَا تبادُلان النظرات أكثر من دقيقة، ثم قالت الأمُ الأخرى:
«الأدب!»، وطوّت الكيس الأبيض بعناية كي لا تفرّ الخنافس
السود، وأعادته إلى كيس التسوّق... ثم إنها نهضت، ونهضت،
ونهضت، حتى بدت أطول قامَةً مما تذكّر كورالين. مدّت يدها في
جيب مئزرها وأخرجت أولاً مفتاح الباب الأسود ورمقته مقطّبة
قبل أن تلقى في كيس التسوّق، ثم مفتاحاً آخر فضيًّا ضئيلاً رفعته
بظفرٍ قائلَةً: «ها هو ذا. سأفعلُ هذا من أجلك يا كورالين، من أجل
صالحك، لأنني أحبك، كي أعلمك الأخلاق، ففي النهاية الأخلاق
هي ما يصنع الإنسان».

سحبَت الأمُ الأخرى كورالين إلى الرّدهة وتقدّمت بها نحو
المرأة، ثم دسّت المفتاح الصّغير في لجين المرأة وأدارته!
وانفتحت المرأة كالباب كاشفةً عن مساحةٍ مظلمة وراءها،
وقالت الأمُ الأخرى: «بإمكانك الخروج حين تتعلّم الأخلاق،
وحين تُصبحين مستعدّة لأن تكوني ابنةً محبّة».

ورفعت كورالين ودفعتها إلى المكان المظلم وراء المرأة، وقد
التصقت قطعة من خنفسةٍ بشفتها السفلى، وغاب كلُّ تعبيرٍ من
زريّ عينيها الأسودين تماماً.

ثم أغلقت المرأة الباب وتركت كورالين في الظلام.

(٧)



في مكانٍ ما في أعماقها أَحَسَّتْ بنشيج هائل يَنْبُع، لكنها كبَحَتْه
قبل أن يَخْرُجَ والتَقَطَتْ نفساً عميقاً وتركته يَمُرُّ. ثم إنها مَدَّتْ يديها
تَتَحَسَّسُ المكان المسجونة فيه، فوجدته في مساحة خزانة مَقَشَّات،
طويلاً بما يكفي للوقوف أو الجلوس، ولكن ليس عريضاً أو عميقاً
بما يكفي للتمدد، وأحد الحوائط من الزُّجاج بارد الملمس.

دَارَتْ في العُرفة الضيقة مرّةً ثانيةً ممرّةً يديها على كُلِّ سطحٍ
استطاعت بلوغه، تبحث عن مقبضٍ أو رتاجٍ أو مزلاجٍ خفي، عن
وسيلةٍ ما للخروج، دون أن تجد شيئاً.

على ظهر يدها جرى عنكبوت وكتمت كورالين صرخةً، لكن
بخلاف العنكبوت كانت وحدها تماماً في ظُلْمة الخزانة الدّامسة.

ثم مَسَّتْ يدها شيئاً صغيراً بارداً ملمسه بالضبط كوجنة
أحدهم وشفتيه، وهمس صوت في أذنها: «صمتاً! لا تقولي شيئاً،
فربما تكون البِلْدامة^(١) تُصغي».

(١) البِلْدامة لفظة إنجليزية عتيقة، تعني العجوز الشَّمطاء التي غالباً ما تكون ساحرة أو

لم تنبس كورالين بينت شفة.

شعرت بيد باردة تلمس وجهها، تسعى الأصابع عليه كجناحي
عثةٍ يخفقان برقة.

ثم قال صوت مختلف متردد وخافت لدرجة أن كورالين
تساءلت إن كانت تتخيله: «أأنت... أأنت حية؟».

همست كورالين: «نعم».

قال الصوت الأول: «الطفلة المسكينة».

تساءلت كورالين همساً: «من أنتم؟».

أجابها صوت آخر تائه يأتي من بعيد جداً: «الأسماء، الأسماء،
الأسماء. الأسماء أول شيء يغيب بعد انقطاع النفس وتوقف القلب
عن النبض. إننا نحفظ بذكرياتنا زمناً أطول من احتفاظنا بأسمائنا.
ما زالت في عقلي صور لمريّتي ذات صباح ما في مايو، تحمل طوقي
وعصاي^(١) ومن ورائها ضوء الشمس، وزهور التوليب تراقص
في النسيم... لكنني نسيْتُ اسم مريّتي، وأسماء زهور التوليب
أيضاً».

قالت كورالين: «لا أظن أن لزهور التوليب أسماء، إنها زهور
فحسب».

= مشعوذة تتلذذ بإيذاء الأطفال. (المترجم).

(١) الطوق والعصا لعبة قديمة، فكرتها دحرجة كل لاعب طوقه على الأرض باستخدام
العصا، والفائز هو آخر من يسقط طوقه. (المترجم).

ردَّ الصَّوْت بِأَسَى: «ربما، ولكن لظالما حسبْتُ أن لزهور
التَّوْلِيْب تلك تحديداً أسماء بالتَّأْكِيْد. كانت حمراً وبرتقاليَّة وحمراً،
وحمراً وبرتقاليَّة وصفراً، كجمرات النَّار في مدفأة غُرْفَة الأَطْفال
ذات مساءٍ شتوي. إنني أذكرها».

كانت نبرة الصَّوْت حزينَّة للغاية، حتى إن كورالين مدَّت
يدها إلى البُقْعَة التي جاءَ منها، فوجدت يداً باردةً اعتصرتَها بشدَّة.

بدأت عيناها تعتادان الظَّلام، والآن ترى كورالين -أو تتخيَّل
أنها ترى- ثلاثة أشباح، كلُّ منها باهت شاحب كالقمر في سماء
النَّهار، أشباح أطفالٍ في مثل حجمها تقريباً.

اعتصرت اليَد الباردة يدها بدورها، وقال الصَّوْت: «شكراً
لك».

سألت كورالين: «أأنت فتاة أم فتى؟».

سَادَ الصَّمْتُ هنيهةً، ثم أجابَ الصَّوْت بشكٍّ: «في صغري
اعتدتُ ارتداء التَّنَانِير وكان شعري طويلاً مجمَّداً، لكن الآن وقد
سألَتنِي يبدو لي أنهم أخذوا تنانيري وأعطوني بدلاً منها سراويلَ
وقصَّوا شعري».

قال أول الأصوات: «ليس هذا شيئاً نكثر له».

واصلَ من تَمَسِّك يده بيدها: «فتى ربما إذن. أعتقدُ أنني كنتُ
فتى ذات يوم»، وتوهَّج الشَّبح بالقيِّ أشدُّ قليلاً في ظلام الغُرْفَة
الواقعة وراء المرأة.

سألت كورالالين: «ماذا حدث لكم؟ كيف أتيتم هنا؟».

أجاب أحد الأصوات: «لقد تركتنا هنا، سرقت قلوبنا وسرقت أرواحنا وسلبتنا حياتنا، ثم تركتنا هنا منسيين في الظلام».

قالت كورالالين: «أيها المساكين. منذ متى وأنتم هنا؟».

قال صوت: «منذ زمنٍ طويل للغاية».

وقال صوت آخر: «أجل، منذ زمنٍ أطول من أن يُحسب».

وأضاف صوت من يحسب نفسه فتى: «دخلتُ من باب غرفة الأطباق فوجدتُ نفسي عدتُ إلى غرفة الضيوف، لكنها كانت في انتظاري. قالت لي إنها مامتي الأخرى، لكنني لم أر مامتي الحقيقية بعدها ثانية».

«اهربي!»، قال أول الأصوات، صوت فتاةٍ أخرى حسب ظنِّ كورالالين. «اهربي وأنتِ في رثيتكِ هواء وفي عروقكِ دماء وفي قلبكِ دفء، اهربي وأنتِ ما زلتِ محتفظةً بعقلكِ وروحكِ».

ردّت كورالالين: «لن أهرب. لقد أخذتِ والدتي، وجئتُ لأسترجعها».

«آه، لكنها ستُبقِيكِ هنا ريثما تستحيل الأيام إلى ترابٍ وتتساقط أوراق الشجر وتمرُّ الأعوام واحداً تلو الآخر كتكّات الساعة».

«لا، لن تفعل».

وخيم الصمت على الغرفة الواقعة وراء المرأة.

ثم قال صوت في الظلام: «عساك إذا استطعت إنقاذ مامتك وباباك من البلدامة أن تُحرّري أرواحنا أيضاً».

مصدومة، سألت كورالين: «هل أخذتها؟».

«أجل، وأخفّتها».

«لهذا السبب لم نستطع أن نغادر هذا المكان حين متنا. لقد احتفظت بنا وتغذّت علينا حتى لم يعد هناك شيء باقياً من أنفسنا، والآن لسنا إلا قشوراً وأغلفة. اعثري على قلوبنا السريّة أيتها السيّدة الصّغيرة».

«وماذا سيحدث لكم إذا عثرتُ عليها؟».

ولم تقل الأصوات شيئاً.

«وماذا ستفعل بي؟».

نبضت الأشباح الشّاحبة بضوء خافت، وكان بإمكان كورالين أن تتخيّل أنها ليست أكثر من صورٍ تلوّية، كأنها الوهج الذي تُخلّفه الأضواء السّاطعة في عينيك بعد انطفائها.

قال صوت خافت همساً: «الأمر لا يؤلم».

وقال الثّاني: «ستسلبك حياتك وكلّ ما يجعلك أنت وكلّ عزيز لديك، ولن تترك لك شيئاً إلاّ الغيوم والضّباب. ستسلبك فرحتك، وسيأتي يوم تصحين فيه لتجدي نفسك بلا قلب أو روح. قشرة ستصحين، سراباً ستصيرين، شيئاً ليس أكثر من حلمٍ يتلاشى عند الاستيقاظ، أو ذكرى شيء منسي».

وهَمَسَ الصَّوْتُ الثَّالِثُ: «خواء، خواء، خواء، خواء، خواء، خواء».

وتنهَّد صوت آخر بضَعْفٍ قائلاً: «يجب أن تفرِّي».

قالت كورالاين: «لا أظنُّ. لقد حاولتُ الفرار ولم أفلح، وأخذتُ هي والدي. هل يُمكنكم إخباري بوسيلة للخروج من هذه الغُرْفَة؟».

«لو علمنا لأخبرناكِ».

حدَّثت نفسها قائلة: «يا لكم من مساكين».

جلستُ كورالاين وخلعتُ كنزتها وطَوَّتها ووضعتها وراء رأسها على سبيل الوسادة، ثم قالت: «إنها لن تُبقيني في الظَّلام إلى الأبد. لقد أتت بي هنا لتلعب. القِطُّ ذكر الألعاب والتحدِّيات، وأنا لا أمثُلُ تحدِّياً هنا في الظَّلام».

حاولتُ أن تجلس مستريحةً، تلوي جسدها وتثنيه لِيُناسب الجلوس في المساحة الضيقة وراء المرأة.

قرقرتُ بطنها، فأكلتُ تُفاحتها الأخيرة أخذةً منها قُصَيماتٍ صغيرة للغاية لتبقى أطول فترة ممكنة، وحين فرغتُ منها كانت لا تزال جائعةً.

ثم خطرتُ لها فكرة، وهَمَسْتُ: «لِمَ لا تأتون معي حين تأتي تُخْرِجَني؟».

تنهَّدوا مجيبين بأصواتهم التي تكاد لا تُسمَعُ: «ليتنا نستطيع،

لكنها تحتفظ بقلوبنا، والآن ننتهي إلى الظلام والأماكن الخالية.
سيُذوينا الضوء ويحرقنا».

«أوه».

أسبلت كورالين جفنيها، وهو ما جعل الظلام أكثر ظلاماً،
وأراحت رأسها على الكنزة المطوية، ثم خلدت إلى النوم... وفيما
كان يأخذها النوم حسبت أن شبهاً قبل وجتها برقّة وأن صوتاً
همس في أذنها، صوتاً خافتاً لأقصى درجة يكاد لا يكون مسموعاً،
صوتاً حانياً مكتوماً للغاية حتى إن كورالين كانت لتصدّق أنها
تخيّله يقول لها: «انظري عبر الحجر».

ثم غابت في النوم.

(٨)



بدت الأمُّ الأخرى في صحَّة أفضل من قبل؛ في وجنتيها شيء من التَّورْد، ويتلوَّى شعرها كثعاين كسولة في نهارٍ دافئ، وقد تألَّق زَرًّا عينيها الأسودان كأنها لمَّعتهما لتوها.

كانت قد غاصت في لجين المرأة كأنها تمشي خلال شيء لا يختلف في الصَّلابَة عن الماء، وحدَّقت إلى كورالايين، ثم فتحت الباب بالمفتاح الفضي الصَّغير وحملت كورالايين مثلما اعتادت أمُّها الحقيقة أن تفعل حين كانت أصغر كثيرًا، تضمُّ الطُّفلة شبه النَّائمة بذراعيها برفق كأنها لا تزال رضيعةً.

حملت الأمُّ الأخرى كورالايين إلى المطبخ، وبمتهى اللُّطف أنزلتها على سطح المنضدة.

جاهدت كورالايين لتوقِّظ نفسها، لا تعي إلاَّ اللَّحظة التي احتضنت فيها وشعرت بالحبَّة، قبل أن تُدرك أين هي ومع مَنْ.

قالت أمُّها الأخرى: «لا عليك يا كورالايين يا حُلوتي، ها قد

جئتُ وأخرجتكِ من الخزانة. كان يجب أن تتعلّمي درساً، لكننا نُلطّف العدالة بالرّحمة هنا، نحبُّ الخاطئ ونكره الخطيئة. والآن، إذا كنتِ ستتصرّفين كابنة مهذّبة تحبُّ أمّها وتكونين مطيعةً حسنة اللّسان، فسيكون التّفاهم بيننا تاماً، والحبُّ بيننا تاماً كذلك».

فركتِ كورا الاين عينيها لتمسح منهما الغمص، وقالت: «كان هناك أطفال آخرون بالداخل، أطفال قديمون من زمنٍ قديم».

تساءلتِ الأمُّ الأخرى: «حقّاً؟»، فيما انشغلت بالحركة السّريعة بين المقالي والثّلاجة، مخرجةً بيضاً وجُبنةً وزُبدةً وشريحةً من اللّحم المقدّد الوردي المقطّع.

قالت كورا الاين: «نعم، كانوا هناك. أظنُّ أنكِ تتوين تحويلي إلى واحدةٍ منهم، إلى قشرةٍ ميتة».

ابتسمتِ أمّها الأخرى برقّة، وييدٍ واحدةٍ كسرت البيض في وعاء، وبالأخرى خفّفته، ثم ألقت قطعةً من الزّبدة في مقلاة، حيث راحت تُطقطق وتضاءل وتدور ذائبةً فيما قطّعتِ الأمُّ الأخرى الجُبنة إلى شرائح رفيعة، وبعد ذلك صبّت الزّبدة الذّائبة والجُبنة في خليط البيض وواصلت الخفق.

قالت الأمُّ الأخرى: «لا تكوني سخيّةً يا عزيزتي. إنني أحبُّكِ، وسأحبُّكِ دائماً. لا أحد عاقلاً يؤمّن بوجود الأشباح على كلّ حال... وهذا لأنها كذّابة جميعاً. سمّي الإفطار الجميل الذي أعدّه لكِ»، وصبّت الخليط الأصفر في المقلاة مُردفةً: «أومليت الجُبنة، إفطاركِ المفضّل».

قالت كورالايين وقد سأل لعبها: «أنتِ تحبّين الألعاب، هذا ما قيل لي».

ومضت عينا الأم الأخرى، ولم تقل إلّا: «الكل يحب الألعاب».

قالت كورالايين: «نعم»، ونزلت من فوق سطح المنضدة وجلست إلى مائدة الطعام.

كان اللحم المقدّد يُطَقِّق ويثرُّ تحت المشواة، وفاحت منه رائحة رائعة.

سألتها كورالايين: «هل ستكونين أسعد إذا ربحتني بالعدل والإنصاف؟».

أجابَت الأم الأخرى: «محمّلة». كانت تتظاهر بعدم الاكتراث، لكن أصابعها راحت ترتعد وتنفّر الهواء. لعقت شفيتها بلسانها القرمزي، ثم سألت: «ما الذي تعرضينه بالضبط؟».

قالت كورالايين: «نفسي»، وقبضت على رُكبتها تحت المائدة لتمنعها من الارتجاف متابعةً: «إذا خسرتُ سأبقى هنا إلى الأبد وأدعك تحبّيني، سأكون ابنةً بارّةً لأقصى حد، سأكلُ طعامك وألعبُ معك العائلة السعيدة، وسأتركك تخيطين زرين على عيني».

رمقتها أمّها الأخرى بلا تعبير في زري عينيها الأسودين، ثم قالت: «عرض لا بأس به على الإطلاق. وإذا لم تخصري؟».

«ستُطلقين سراحي، تُطلقين سراحي الجميع؛ أبي وأمّي الحقيقيّين والأطفال الموتى وكل من تحبّسينهم هنا».

أَخْرَجَتِ الْأُمُّ الْأُخْرَى اللَّحْمَ الْمَقْدَّدَ مِنْ تَحْتِ الْمَشْوَاةِ وَوَضَعَتْهُ فِي طَبَقٍ، ثُمَّ تَرَكَتْ أَوْمِلِيَتَ الْجُبْنَةَ يَنْزِلُقَ مِنَ الْمَقْلَاةِ إِلَى الطَّبَقِ، وَفِي الْآنَ نَفْسُهُ قَلْبَتَهُ لِيَنْطَوِي عَلَى نَفْسِهِ مَتَّخِذاً شَكْلَ الْأَوْمِلِيَتِ الْمِثَالِي، وَوَضَعَتْ طَبَقَ الْإِفْطَارِ أَمَامَ كُورَالَايْنِ وَمَعَهُ كُوبٌ مِنْ عَصِيرِ الْبَرْتَقَالِ الطَّازِجِ وَكُوبٌ مِنَ الشُّوْكُولَاتَةِ السَّاخِنَةِ ذَاتِ الرِّغْوَةِ.

ثُمَّ قَالَتْ الْأُمُّ الْأُخْرَى: «نَعَمْ، أَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ اللَّعْبَةُ تُعْجِبُنِي. لَكِنْ أَيُّ نَوْعٍ مِنَ الْأَلْعَابِ سَتَكُونُ؟ لُعْبَةُ أَلْغَازٍ؟ اخْتِبَارٌ لِلْمَعْرِفَةِ أَوْ الْمَهَارَةِ؟».

رَدَّتْ كُورَالَايْنُ: «لُعْبَةُ اسْتِكْشَافٍ، لُعْبَةُ عَثُورٍ عَلَى أَشْيَاءٍ». «وَفِي ظَنِّكَ عَلَامٌ سَتَعَثُرِينَ فِي لُعْبَةِ الاسْتِغْمَايَةِ هَذِهِ يَا كُورَالَايْنُ جُونَزُ؟».

تَرَدَّدَتْ كُورَالَايْنُ لِحِظَةً، ثُمَّ أَجَابَتْ: «عَلَى أَبِي، وَأَرْوَاحُ الْأَطْفَالِ الْمَحْبُوسِينَ وَرَاءَ الْمَرَاةِ».

ابْتَسَمَتِ الْأُمُّ الْأُخْرَى لِإِجَابَتِهَا بِظَفَرٍ، وَتَسَاءَلَتْ كُورَالَايْنُ إِنْ كَانَ اخْتِيَارُهَا سَلِيمًا، لَكِنْ أَوَانَ تَغْيِيرَ رَأْيِهَا فَاتٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

«اتَّفَقْنَا. وَالْآنَ كُلِّي إِفْطَارِكِ يَا حُلُوتِي. لَا تَقْلَقِي، فَلَنْ يُؤْذِيكِ».

رَمَقَتْ كُورَالَايْنُ الْإِفْطَارَ كَارِهَةً نَفْسَهَا لِلْإِسْتِسْلَامِ بِهَذِهِ السُّهُولَةِ، لَكِنْهَا كَانَتْ تَتَضَوَّرُ جَوْعًا.

ثُمَّ إِنَّمَا سَأَلَتِ الْأُمُّ الْأُخْرَى: «وَكَيْفَ أَعْلَمُ أَنَّكَ سَتَفِينِ بِكَلِمَتِكَ؟».

«أَقْسَمُ لِكَ أَنِّي سَأَفِي بِهَا، أَقْسَمُ بِقَبْرِ أُمِّي».

«وَهَلْ لَهَا قَبْرٌ؟».

«أَوْه، نَعَمْ، لَقَدْ وَضَعْتُهَا فِيهِ بِنَفْسِي، وَحِينَ وَجَدْتُهَا تُحَاوِلُ
الخُرُوجَ أَعَدْتُهَا إِلَيْهِ».

«أَقْسِمِي بِشَيْءٍ آخَرَ كَيْ أَتَقَ بَوَفَائِكَ بِكَلِمَتِكَ».

«يَدِي الْيُمْنَى»، قَالَتْ الْأُمُّ الْآخَرَى رَافِعَةً إِيَّاهَا، وَحَرَّكَتْ
أَصَابِعَهَا الطَّوِيلَةَ يَبْطِءُ عَارِضَةً أَظْفَارَهَا الشَّبِيهَةَ بِالْمَخَالِبِ، وَأَضَافَتْ:
«أَقْسَمُ بِهَا».

هَزَّتْ كُورَالَايْنُ كَتْفَيْهَا قَائِلَةً: «لَيْكُنْ، أَتَّفَقْنَا»، وَأَكَلَتْ إِفْطَارَهَا
مَحَاوِلَةً أَلَّا تَلْتَهُمَهُ بِشِرَاهَةٍ، إِذْ كَانَتْ تَحْسُ بِجُوعٍ أَشَدُّ مِمَّا حَسَبَتْ.

بَيْنَمَا تَأْكُلُ حَدَّثَتْ أُمُّهَا الْآخَرَى إِلَيْهَا. مِنَ الصَّعْبِ قِرَاءَةُ
التَّعْبِيرَاتِ فِي زَرْيِ الْعَيْنَيْنِ الْأَسْوَدَيْنِ هَذَيْنِ، وَإِنْ خَطَرَ لِكُورَالَايْنِ
أَنْ أُمُّهَا الْآخَرَى تَبْدُو جَائِعَةً أَيْضًا.

شَرَبَتْ عَصِيرَ الْبَرْتَقَالِ، وَلَكِنْ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا تَعْلَمُ أَنَّهَا
سَتَرْوِقُهَا، فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَجْعَلَ نَفْسَهَا تَشْرِبُ الشُّوْكُولَاتَةَ السَّاخِنَةَ.
سَأَلَتْ كُورَالَايْنِ: «أَيْنَ أَبْدَأُ الْبَحْثَ؟».

أَجَابَتْ الْأُمُّ الْآخَرَى كَأَنَّهَا لَا تُبَالِي الْبَتَّةَ: «أَيْنَمَا تَشَائِنِ».

نَظَرَتْ إِلَيْهَا كُورَالَايْنُ وَرَاحَ عَقْلُهَا يَعْمَلُ بِقُوَّةٍ، ثُمَّ إِنَّهَا قَرَّرَتْ أَنْ
لَا فَائِدَةَ هُنَالِكَ مِنْ اسْتِكْشَافِ الْحَدِيقَةِ وَالْأَرَاضِيِ الْمُحِيطَةِ بِالْمَنْزَلِ،

ذلك أن لا وجود لها بحق، ليست حقيقةً. في عالم الأم الأخرى لا يوجد ملعب تنس مهجور أو بئر بلا قرار. الشيء الحقيقي الوحيد في هذا المكان هو المنزل نفسه.

تطلعت كورالين في أنحاء المطبخ، ثم إنها فتحت الفرن، وألقت نظرة داخل المجمد، ونقبت في قسم السلطة في الثلاجة، وتبعثها الأم الأخرى وهي تتحرك، تنظر إليها بابتسامة مصطنعة تحوم حول حافة شفيتها.

سألت كورالين: «ما حجم الروح أصلاً؟».

جلست الأم الأخرى إلى مائدة المطبخ وأسندت ظهرها إلى الجدار دون أن تنطق، وأخذت تُنظف أسنانها بظفر طويل مطلي بالقرمزي، ثم شرعت تنقر بإصبعها برفق، طق طق طق، على السطح الأسود المصقول لزرّي عينيها السودين.

قالت كورالين: «طيب، لا تخبريني. لا أبالي. لا يهم إن ساعدتني أم لا. الكل يعلم أن حجم الروح ككرة الشاطئ».

كانت تأمل أن تقول الأم الأخرى شيئاً على غرار: «هراء، إنها بحجم البصلة الناضجة... أو حبة السفر... أو ساعدة الجد»، لكنها اكتفت بالابتسام، واستمرت طقطقة ظفرها على عينيها ثابتة قاسية كصوت تقاطر الماء من الصنبور في الحوض. ثم أدركت كورالين أنه صوت الماء بالفعل، وأنها وحدها في المطبخ الآن.

ارتجفت كورالين. إنها تفضل أن يكون للأم الأخرى موقع

معلوم، فإن لم تكن في أيِّ مكانٍ فمن الممكن أن تكون في أيِّ مكان، ثم إن من الأسهل دائماً أن يخاف المرء ما لا يراه. وضعت يديها في جيبيها وانغلقت أصابعها على التكوين المطمئن للحجر المثقوب، ثم أخرجته من جيبيها ورفعته أمامها كأنها تحمل مسدساً، وخرجت إلى الردهة.

لم يكن هناك صوت إلا طقطقة قطرات الماء الساقطة في الحوض المعدني.

رمت المرأة في آخر الردهة، وللحظة رأت الغيم يتجمع فيها، ولاحت لها وجوه تسبح في الزجاج، وجوه باهتة غامضة لا شكل لها، ثم تلاشت الوجوه ولم يعد في المرأة إلا بنت صغيرة الحجم بالنسبة إلى سنّها تمسك شيئاً يُصدر وهجاً خفيفاً كجدوة خضراء.

نظرت كورالين إلى يدها مندهشة. مجرد حجر فيه ثقب، حصاة بُنيّة لا يميّزها شيء. ثم إنها نظرت في المرأة حيث يلتصق الحجر كجوهرة من الزمرد، وهبّ خيط من النار الخضراء من الحصاة في المرأة وطفاف الهواء صوب غرفة نومها.

وهممت كورالين.

دخلت غرفة النوم. اختلجت اللُّب بحماسةٍ لدى دخولها كأنها مسرورة لمرآها، وخرجت دبّابة صغيرة تتدحرج من صندوق اللُّب لتحيتها داعسةً عدداً كبيراً من اللُّب الأخرى بجنزيرها. سقطت الدبّابة من الصندوق على الأرض وتشقّلت، وكخنفسة على ظهرها ظلّت مقلوبةً على البساط تُدمم ويدور جنزيرها قبل

أن تلتقطها كورالين وتعدّها، وفَرَّت الدَّبَّابة تختبئ تحت السَّرير
محرّجةً.

تطلَّعت كورالين في أنحاء الغُرفة. بحثت في الخزانات
والأدراج، ثم رفعت صندوق اللُّعب من طرفه وقلبت محتوياته كلّها
على البساط، لتزجج اللُّعب وتتمطّى وتتلوى بحركاتٍ خرقاء لينفكّ
بعضها من بعض، وتدحرجت كُرّة رماديّة على الأرض وارتطمت
بالحائط. فكّرت كورالين أن لا واحدة من اللُّعب تبدو بشكلٍ
خاص كأنها روح، والتقطت حطّاطةً فضيّةً وفحصت التّمام ذات
أشكال الحيوانات المعلقة منها ويُطارِد بعضها بعضاً حول محيطها،
لا يُوقع الثَّعلب بالأرنب أبداً، ولا يلحق الدُّبُّ بالثَّعلب أبداً.

فتحت كورالين قبضتها ونظرت إلى الحجر المثقوب آملّة أن
تري دليلاً، ولا دليل. كان أكثر اللُّعب التي احتلت الصُّندوق قد
زحفَ يختبئ تحت السَّرير، أمّا اللُّعب القليلة التي تبقت (جُندي
أخضر من البلاستيك، والكُرّة الزُّجاج، ويويو وردي زاهٍ، وغيرها)
فمن الأشياء التي يجدها المرء في قاع صناديق اللُّعب في العالم الحقيقي،
أشياء منسيّة مهجورة لا يحبّها أحد.

كانت على وشك الخروج للبحث في مكانٍ آخر، ثم إنها
تذكّرت صوتاً في الظلام، صوتاً هامساً رقيقاً، وتذكّرت ما أوصاها
بأن تفعله.

رفعت كورالين الحجر المثقوب أمام عينها اليمنى، وأغلقت
اليُسرى وتطلَّعت إلى الغُرفة عبر الثُّقب.

عبر الحجر كان العالم رمادياً عديم الألوان كرسم بالقلم
الرصاص. كلُّ شيء هنا رمادي... لا، ليس كلُّ شيء، فثُمَّ شيء
ما يلمع على الأرض، شيء بلون جمرة في مدفأة غرفة أطفال، بلون
زهرة توليب قرمزية وبرتقالية تتمايل في شمس مايو. مدّت كورالين
يُسرّها خاشية أن يختفي إذا أشاحت ببصرها عنه، وتحسّست باحثةً
عن الشيء المتقد.

وانغلقت أصابعها حول شيء أملس فاتر الملمس، واختطفته
ثم أنزلت الحجر المثقوب عن عينها ونظرت، لترى الكُرّة الزّجاج
الرّمادية التي تدرجت من صندوق اللّعب مستقرّة في راحة يدها
المتورّدة. رفعت الحجر مجدّداً إلى عينها وعبره نظرت إلى الكُرّة،
ومجدّداً رأتها تتقد وتتوهج نارها الحمراء.

وهمس صوت في عقلها: «حقاً يا سيّدي، خطر لي وقد فكّرتُ
في الأمر أنني كنتُ فتى بالفعل. أوه، لكن يجب أن تُسرّعي. ما زالَ
عليك العثور على اثنين آخرين منا، والبلدامة غاضبة منك بالفعل
لعثوركِ عليّ».

فكّرت كورالين: إذا كنتُ سأفعل هذا فلن أفعله وأنا أتردي
ملابسها. وهكذا عادت ترتدي منامتها ومعطفها المنزلي وتنتعل
خُفيها، تاركة الكنزة الرّمادية والسروال الجينز الأسود مطويّين
بعناية على الفراش، والحذاء البرتقالي على الأرض إلى جوار صندوق
اللّعب.

ثم وضعت الكُرّة في جيب معطفها وخرجت إلى الرّدهة.

وخزَ شيء ما وجهها ويديها كرمالٍ تذرّوها ريح قويّة على الشّاطي، لكنها غطّت عينها وواضلت التّقّدّم.

إلا أن وخز الرّمال ساء أكثر فأكثر، وصار المشي أصعب وأصعب، كأنها تُحاول شقّ طريقها في الرّيح في يومٍ عاصفٍ جدّاً، وهذه الرّيح عنيفة باردة.

وتقهقرت كورالين خطوة في الاتجاه الذي أتت منه.

همس صوت شبحيّ في أذنها: «أوه، واصلي طريقك، فالبلدامة غاضبة».

وعادت كورالين تخطو إلى الرّدهة في هبة ريح أخرى ما برحت تخز وجنتيها ووجهها برمالٍ خفيّة، رمال حادّة كالإبر، حادّة كالزّجاج.

وصاحت كورالين في الرّيح: «العبي بالعدل!».

لم يأتها ردّ، لكن الرّيح دارت حولها تجلدها مرّة أخيرة بشراسة، ثم انحسرت وتوقّفت، وإذ مرّت كورالين بالمطبخ سمعت في الصّمت المفاجئ الذي رانَ طقطقة الماء من الصّنبور المسرّب، أو ربما أظفار الأمّ الأخرى تنقّر سطح المائدة بنفاد صبر، لكنها قاومت الرّغبة في النّظر.

وبخطوتين واسعتين بلغت كورالين الباب الأمامي وخرجت.

نزلت السّلام ودارت حول المنزل حتى بلغت شقّة الآنستين سمينك وفورسيل الأخرين. كانت المصابيح حول الباب تُضيء

وتنطفئ بشكل شبه عشوائي الآن، تنهجي كلمات لا تفهمها كورالين. وجدت الباب مغلقاً، وخشت أن يكون موصداً، فدفعته بقوتها كلها. في البداية انحسر، ثم ترحح فجأة، وباندفاع مباغتة إلى الأمام دخلت كورالين الغرفة المظلمة متعثرة.

ضمت كورالين قبضتها حول الحجر المثقوب وتقدمت في سوادٍ حالك متوقعة أن تجد الغرفة الجانبية بستاثرها المسدلة، لكنها لم تكن هناك. الغرفة مظلمة والمسرح خالٍ. تحركت إلى الأمام بحذر، ومن أعلى سمعت حفيف شيء ما، فرفعت عينيها ناظرة إلى ظلام أعمق، وإذا فعلت هذا صدمت قدمها شيئاً ما، فمدت يدها إلى أسفل والتقطت كشافاً كهربائياً وشغلته ملقياً ضوءه في أرجاء الغرفة.

كان المسرح مهجوراً مهملاً؛ المقاعد مكسورة على الأرض، وثمرّة شباك عناكب مغبرة تكسو الجدران وتدلّ من الخشب المتعفن والستائر المخملية البالية.

أصدر شيء ما حفيفاً مرةً أخرى، فوجهت كورالين شعاع الكشاف نحو السقف، لترى أشياء معلقة هناك، أشياء هلامية بلا شعر. ففكرت أنها كانت لها وجوه ربما من قبل، أنها ربما كانت كلاباً حتى، لكن لا كلب له جناحان كالوطاويط ويستطيع التعلّق من السقف كالعناكب، كالوطاويط، بالملبوب.

أفزع الضوء الكائنات، وحلق أحدها في الهواء وراح جناحاه يطنان عبر الغبار. انحنت كورالين إذ هوى بالقرب منها، ثم

إنه استقرَّ على حائطٍ بعيد وبدأ يتسلَّقه مقلوباً إلى عُشِّ الكلاب الخفافيش على السَّقف.

رفعت كورالين الحجر إلى عينها وفحصت المكان عبره، تبحث عن شيءٍ ما لامع أو وهَّاج، عن علامةٍ على أن في مكانٍ ما في هذه الغرفة روح أخرى نجَّاة. مرَّرت ضوء الكشاف على أنحاء الغرفة وهي تبحث، وقد جعل الغبار الكثيف في الهواء شعاع الضوء يكاد يبدو صلباً.

لمحت شيئاً ما على الحائط الخلفي وراء خشبة المسرح الخربة. كان أبيض مائلاً إلى الرمادي، يبلغ ضعف كورالين نفسها حجماً، ويلتصق بالحائط الخلفي مثل البزاق. أخذت كورالين نفساً عميقاً، وقالت لنفسها: «لستُ خائفةً، لستُ خائفةً». لم تُصدِّق نفسها، على أنها تسلَّقت معتليَّة خشبة المسرح القديمة، تغوص أصابعها في الخشب المتعفن وهي تسحب نفسها إلى أعلى.

مع اقترابها من الشيء الملتصق بالحائط تبَّينت أنه كيس غشائي ما، كغلاف بيضة عنكبوت. ارتعش الشيء في ضوء الكشاف، وفي داخل الكيس لاح شيء يبدو كشخص، لكنه شخص له رأسان، وله ضعف عدد الأذرع والسيقان الطَّبيعي. بدا الكائن داخل الكيس عديم الشكل غير مكتمل لدرجةٍ شنيعة، كأن شخصين من مادَّة لدنة سُخِّناً ومزَّجا معاً، ضُغِطَا وهُرسا حتى باتا واحداً.

تردَّدت كورالين غير شاعرةٍ بأيِّ رغبةٍ في الاقتراب من هذا الشيء.

هَوَت الكلاب الخفافيش واحداً تلو الآخر من السَّقْف وبدأت
تدور في هواء الغُرْفَة، تدنو منها لكن لا تلمسها أبداً.

فَكَّرْتُ: ربما لا توجد أرواح مَحَبَّة هنا، ربما يُمكنني أن أغادر
وأبحث في مكانٍ آخَر. هكذا أَلَقْتُ نظرةً أخيرةً عبر الثُّقْب في
الحجر، فرأت المسرح المهجور لا يزال رمادياً كثيباً، لكن الآن هناك
وهج بُني لامع غني كخشب الكرز، ويأتي من داخل الكيس. أياً
كان مصدر الوهج فهو في أحد أيدي الشيء على الحائط.

مَشَّت كورالين بتؤدّة على خشبة المسرح الرّطبة محاولةً أن
تُصدِر أدنى قدرٍ ممكن من الضّوضاء، وخائفةً من إزعاج الشيء في
الكيس خشية أن يفتح أعينه ويراهما، وعندئذ...

لكنها لم تستطع التّفكير في شيء يُحيف كأن ينظر إليها. تسارعت
دَقّات قلبها في صدرها، وأخذت خطوةً أخرى إلى الأمام.

لم تَشعُر كورالين قطّ بمثل هذا الخوف، ومع ذلك تقدّمت
حتى بلغت الكيس، ثم دَسَّت يدها في البياض اللّزج الملتصق
بالحائط، فطقطق بصوتٍ ناعمٍ كنارٍ صغيرة إذ دفعت يدها فيه، وقد
التصق بجِلدها وملابسها كشبكة العنكبوت، كحلوى غزل البنات
البيضاء. دَسَّت كورالين يدها ومدّتها إلى أعلى إلى أن لمَسَتْ يداً
باردةً منغلقةً - كما شعرت - على كُرّيّة زجاجيّة أخرى. كان جلد
الكائن زلقاً كأنه مغطّى بالهلام، وشدّت كورالين الكُرّيّة.

في البداية لم يحدث شيء نتيجةً لإحكام قبضة الكائن على الكُرّيّة،
ثم شيئاً فشيئاً ارتحت الأصابع، وانزلت الكُرّيّة إلى يد كورالين،

التي سحبتها من النسيج اللّزج متنفساً الصّعداء لأن الشّيء لم يفتح أعينه. ألقت الصّوء على وجهيه، وقرّرت أنها يُشبّهان النّسخين الأكثر شباباً من الأنستين سبينك وفورسيل، غير أنها مشوّهان ومعتصران معاً ككتلتين من الشّمع ذابتا وامتزجتا معاً فصارتا شيئاً واحداً بشع المنظر.

دون إنذار امتدّت إحدى أيدي الكائن تُحاول الإمساك بذراع كورالين، وحكّت أظفاره ذراعها لكن جلده الرّلق حال دون الإطباق عليها، وسحبت كورالين يدها بنجاح.

ثم انفتحت الأعين، أربعة أزرار سود تلمع وتُحدّق إليها، وبدأ صوتان وقعها ليس كأَيِّ صوتٍ سمعته كورالين من قبل يُكلّمانها. راح أحدهما يُولول ويهمس، والثاني يطن كذبابة زرقاء سميّة غاضبة على زجاج نافذة، لكن الصّوتين قالا كشخصٍ واحد: «أيتها اللّصة! أعيديه! توقّفي! أيتها اللّصة!».

انتشرت الكلاب الخفافيش في هواء المسرح، وبدأت كورالين تتراجع، وعندئذ أدركت أن على الرغم من كون الشّيء الذي كان الأنستين سبينك وفورسيل الآخرين من قبل مرعباً، فإنه ملتصق بالحائط بشبكته ومغلّف بها كأنها شرنقة، وليس بإمكانه أن يتبعها.

خفقت الكلاب الخفافيش بأجنحتها وحلقت حولها، لكنها لم تُحاول إيذاء كورالين، التي نزلت من فوق خشبة المسرح وألقت ضوء الكشّاف في أنحاء المكان باحثة عن طريق الخروج.

وولول صوت فتاة في عقلها: «اهرّبي يا آنسة، اهرّبي الآن.

إن معك اثنين منا. اهربي من هذا المكان ودمك لا يزال يجري في عروقك».

ألقت كورالين الكرّة في جيبها إلى جوار الأخرى، ثم أبصرت الباب وجرت نحوه وجذبتّه حتى انفتح.



في الخارج كان العالم قد استحال إلى ضبابٍ بلا ملامح يدور في دوّامات، بلا أشكالٍ أو ظلالٍ وراءه، في حين بدا أن المنزل نفسه قد تشوّه وتمدّد، وبدا لكورالين كأنه جاثمٌ يُحمِلِق إليها، كأنه ليس منزلاً حقاً وإنما فكرة عن منزل... وهي واثقة بأن الشخص الذي خطرَت له تلك الفكرة ليس شخصاً خيراً. كانت المادّة الشبكيّة اللزجة ملتصقةً بذراعها، فمسحتها قدر المستطاع، ورأت نوافذ المنزل الرّماديّة مائلةً بزوايا غريبة.

وجدت الأمّ الأخرى في انتظارها واقفةً على العُشب وذراعاها معقودتان على صدرها، ليس في زُرّي عينيها الأسودين أيُّ تعبير، وإن انضغطت شفتاها معاً بشدّةٍ في غضبٍ بارد.

لما رأت كورالين مدّت يداً بيضاء طويلةً وأشارت إليها بإصبعها أن اقتربي، فسارت كورالين صوبها.

ولم تقل الأمّ الأخرى شيئاً.

قالت كورالين: «وجدتُ اثنتين، وتبقّت روح أخرى».

لم يتبدّل التعبير على مَحْيَا الأمّ الأخرى. ربما لم تسمع ما قالته كورالين أصلاً.

أضافت كورالين: «فكّرتُ فقط أنكِ ستريدين أن تعرفي».

ردّت الأمّ الأخرى ببرود: «شكراً يا كورالين»، غير أن صوتها لم يخرج من فمها فحسب، بل جاء من الضباب، ومن الغيوم، ومن المنزل، ومن السماء. «تعلمين أنني أحبّكِ».

ورغماً عنها أو مأت كورالين برأسها إيجاباً. هذا صحيح، الأمّ الأخرى تحبّها، لكنها تحبّها كما يحبُّ البُخلاء المال، وكما تحبُّ الثّانين الذهب الذي اكتنّزته. تعلم كورالين أن في عيني الأمّ الأخرى ما هي إلّا شيء تعدّه ملكها.

قالت كورالين: «لا أريدُ حبّكِ، لا أريدُ منك شيئاً».

«ولا حتى يد المساعدة؟ إنكِ تُبلين بلاءً ممتازاً رغم كلّ شيء، وفكّرتُ أنكِ قد تحتاجين إلى دليلٍ صغير يُساعدكِ في بقيّة رحلة البحث عن كنزكِ».

«إنني أبلي بلاءً حسناً بمفردي».

«نعم، لكن إذا أردتِ أن تدخلي الشقّة التي في مقدّمة المنزل -الشقّة الخالية- لتبحثي، فستجدين الباب موصداً، وحينها ماذا ستفعلين؟».

قالت كورالين: «أوه»، وفكّرت في الأمر لحظة، ثم سألت: «أهناك مفتاح؟».

كانت الأمُّ الأخرى واقفةً هناك في ضباب هذا العالم المذكوك
الرَّمادي كالورق، يطفو شعرها الأسود حول رأسها كأن له عقله
وغرضه الخاص، ثم إنها سعلت فجأةً في مؤخرة حلقها، وبعدها
فتحت فمها.

ومدَّت الأمُّ الأخرى يدها، ومن على لسانها تناولت مفتاح بابٍ
أمامي صغيراً من النحاس الأصفر، ثم قالت: «هاك، ستحتاجين
إلى هذا لتدخلي»، وألقت المفتاح بحركةٍ عرضيةٍ نحو كوراالين،
التي تلقفته بيدٍ واحدة قبل أن تجد فرصةً لتفكر إن كانت تُريده أم
لا، وكان ملمسه في يدها رطباً بعض الشيء.

هبت ريح باردة حولهما، وارتعدت كوراالين وأشاحت بوجهها،
وحين عادت تنظر كانت وحدها.

حائرةً دارت حول المنزل إلى مقدمته ووقفت أمام باب الشقة
الخالية، وككل الأبواب وجدته مطلقاً بالأخضر البانع.

وهمس صوت شبحي في أذنها: «إنها لا تُضير لكِ خيراً. لسنا
نُصدّق رغبتها في مساعدتك. لا بُدَّ أنها خدعة».

ردّت: «نعم، أتوقّع أنكم محقّون»، ثم دسّت المفتاح في الباب
وأدارته.

وبصمتٍ انفتَح الباب، وبصمتٍ دخلت كوراالين.

للشقة جدران بلون الحليب الخائر، وألواح الأرضية الخشب
غير مكسوة ومترّبة وعليها آثار وأشكال بُسط وسجاجيد قديمة.

ليس في المكان أثاث، بل بقاع كان الأثاث يحتلها قديماً، ولا شيء يُزيّن الجدران، بل فقط مستطيلات حالّ لونها تُبين أين كانت الرسوم أو الصُور معلقةً من قبل. كان الصّمت تاماً لدرجة خيّلت إلى كورالين أنها تسمع ذرّات الغبار تسبح في الهواء.

وجدت نفسها قلقّة للغاية من أن ينقُص شيء ما عليها بغتة، فبدأت تصفّر، إذ خطر لها أن يُصعّب صفيها انقضاص شيء ما عليها.

جالّت أولاً في المطبخ الخاوي، ثم في الحَمّام الخاوي الذي لا يحوي إلّا حوض استحمام من الحديد المصبوب، وفي الحوض عنكبوت ميت في حجم قطعة صغيرة. قدّرت أن آخر عُرفة نظّرت فيها كانت عُرفة نوم، وكان بإمكانها أن تتخيّل أن الظلّ المستطيل الذي صنعه الثّراب على ألواح الأرضيّة كان في السّابق لفراش. ثم إنها رأت شيئاً، وارتسمت على شفّتها ابتسامة متجهّمة. في ألواح الأرضيّة حلقة معدنيّة كبيرة مثبتة، وقد ركعت كورالين وأمسكت الحلقة الباردة وشدّتها إلى أعلى بكلّ قوّتها.

وبمنتهى البُطء، وبجمود، وبتثاقل، ارتفع مربّع من الأرضيّة على مفصلات. إنه باب سرّي، وقد ارتفع لترى كورالين وراءه الظلام لا غير. مدّت يدها إلى أسفل فمسّت مفتاح ضوء بارد، ودون أمل كبير في أن يعمل دفعته، إلّا أن في مكان ما بالأسفل اشتعل مصباح، وأتى ضوء أصفر ضعيف من الفتحة في الأرض، ورأت كورالين درجات تقود إلى أسفل، لكن لا شيء عداها.

دَسَّت كورالين يدها في جيبيها وأخرجَت الحجر المثقوب،
ونظَرَت عبره إلى القبو لكنها لم تَر شيئاً، فأعادَتَه إلى جيبيها.
من الفتحة خرجَت رائحة صلصالٍ رطب ورائحة شيءٍ آخر،
رائحة لاذعة نفاذة كالخلِّ الحامض.

أنزلَت كورالين نفسها في الفتحة راقمةً الباب السري بتوتر.
إنه ثقيل للغاية، فإذا سقطَ فستبقى حبيسةً في الظلام بالأسفل إلى
الأبد. رفعت يدها ولمستَه، لكنه ظلَّ ثابتاً في مكانه. ثم إنها التفتت
إلى الظلمة بالأسفل، وبدأت تنزل الدَّرَجَات. في الحائط عند قاعدة
السَّلام مفتاح ضوءٍ آخر من المعدن الذي يعلوه الصَّدا، وقد دفعته
حتى نزلَ مطلقاً، واشتعلَ مصباح عارٍ معلقٌ بسلكٍ من سقفٍ
خفيض. لم يُصدر المصباح ضوءاً يكفي لمجرّد أن تُميّز كورالين
الأشياء المرسومة على حوائط القبو المتقشّرة، وإن بدت لها شديدة
البساطة، إذ رأت أعيناً وأشياء ربما تكون حَبَّاتٍ من العنب وأشياء
أخرى أسفلها، ولم تجد كورالين نفسها واثقةً إن كانت رسوماً
لأشخاص.

في أحد أركان الغرفة كومة من النُفايات، صناديق من الورق
المقوّى ملأى بالورق العفن، وإلى جوارها تتكوّم ستائر بالية.

أحدث خُفاً كورالين صوت سحقٍ على الأرض الإسمنتية،
وقد ازدادت الرائحة الكريهة سوءاً، وكانت على وشك الدَّوران
والمغادرة عندما رأت القدم البارزة من تحت الستائر المكوّمة.

التقطَت نفساً عميقاً (وأفعمت رائحة النِّبذ اللاذع والحُبز العفن

رأسها)، ثم أزاخت القماش الرطب لتكشف عن شيء يقترب نوعاً من حجم وشكل شخص.

في ذلك الضوء المعتم استغرقت ثواني عدة حتى تبين كنهه. الشيء شاحب منتفخ كاليرقانة، ذراعاه وقدماه رفيعة كالعصا، ولا ملامح على وجهه المنتفخ كالعجين المنتفخ. وللشيء زرآن أسودان بدلاً من عينيه.

خرج من كورالين صوت اشمزازٍ وارتياح، وكأن الشيء سمعها واستيقظ فقد بدأ يعتدل جالساً، وتجمدت كورالين في مكانها. دور الشيء رأسه حتى سلط زري عينيه الأسودين عليها مباشرة، وانفتح فم في الوجه الذي بلا فم لتلوح خيوط من شيء باهت ملتصقة بشفتيه، وهمس صوت لم يعد يشبه صوت أبيها البتة قائلاً: «كورالين».

قالت للشيء الذي كان أباهما الآخر: «حسن، على الأقل لم تنقض علي».

ارتفعت يدا المخلوق الرفيعتان كالغصينات إلى وجهه وراحتا تدفعان الصلصال الشاحب ليُسكّل ما يشبه الأنف، ولم يقل شيئاً. قالت كورالين: «إنني أبحث عن والدتي، أو عن روح مسروقة من أحد الأطفال الآخرين. أهما أو هي هنا؟».

ردّ الشيء الشاحب بغموض: «لا يوجد شيء هنا، لا شيء إلا التراب والرطوبة والنسيان». الشيء أبيض، وضخم، ومنتفخ.

قالت كورالين لنفسها: وحشي، لكنه بائس أيضاً. رفعت الحجر المثقوب إلى عينها ونظرت عبره، ولا شيء. الكائن الشاحب يقول الحقيقة.

قالت: «يا لك من مسكين. أراهن أنها جعلتك تنزل هنا عقاباً على إخباري أكثر من اللازم».

تردد الشيء، ثم أوماً برأسه علامة الإيجاب، وتساءلت كورالين كيف تخيلت أي شيء بين هذا الكائن الشبيه باليرقانة وأبيها. قالت: «أنا آسفة حقاً».

قال الشيء الذي كان أباهما الآخر: «إنها ليست مسرورة، ليست مسرورة على الإطلاق. لقد كدّرت مزاجها للغاية، وحين يتكدّر مزاجها تصب غضبتها على كل أحد آخر. هذا ديدنها».

ربّنت كورالين على رأسه الحليق، لتشعر بجِلده دبقاً كالعجين الدافئ، وقالت: «مسكين. أنت مجرد شيء صنعته ثم تخلّصت منه».

أوماً الشيء برأسه بقوة، وإذا أوماً سقط زُرُّ عينه اليسرى وتدرج على الأرض الإسمتيّة. تطلّع الشيء حوله بنظرة خاوية في عينه الوحيدة كأنه فقد كورالين، وأخيراً رآها، ثم، كأنه يبذل مجهوداً شديداً، فتح فمه ثانية وقال بنبرة بليلة ملحة: «اهرّبي أيتها الصّغيرة، غادري هذا المكان. إنها تُريدني أن أؤذيكَ، أن أبقيكَ هنا إلى الأبد كي لا تُنهي اللعبة أبداً وتفوز هي. إنها تدفعني بقسوة بالغة إلى إيذاكَ، ولست أقوى على مقاومتها».

قالت كورالين: «بل تقوى. تشجع».

نطلعت حولها. الشيء الذي كان أباهما الآخر بينهما وبين الدَّرَجَات التي تقود إلى خارج القبو. بدأت تتحرك ببطء وحذر بمحاذاة الحائط متجهة نحو السَّلام، والتوى الشيء بلا عظام حتى عادت عينه الواحدة تُواجهها ثانية، والآن يبدو أن حجمه يزداد ويقتضه تزيده.

قال المخلوق: «آسف، لا أستطيع».

ثم انقضَّ عليها عبر القبو وقد فتح فمه الخالي من الأسنان بائساع.

كانت لدى كورالين لحظة واحدة لا غير لتصرف. لم تستطع التفكير إلَّا في شيئين فقط تفعلهما. إمَّا أن تصرُخ وتُحاول الفرار فيطَّارها شيء ضخم شبيه بالبرقانة في قبو ضعيف الإضاءة حتى يقبض عليها، وإمَّا أن تفعل شيئاً آخر.

وهكذا فعلت شيئاً آخر.

ولمَّا بلغها مدَّت كورالين يدها وأغلقتها على زِرِّ عين الشيء المتبقِّي، ونزعته بأقصى قوتها.

للحظة لم يحدث شيء، ثم انخلع الزُّرُّ وطارَ من يدها مرتطماً بالحوائط قبل أن يقع على أرض القبو.

تجمَّد الكائن في مكانه، وألقى رأسه الشَّاحِب إلى الورا دون أن يرى، وفغرَ فاه عن آخره على نحوٍ شنيع، وهدرَ غضباً وإحباطاً، ثم بسرعة بالغة انقضَّ على البقعة التي كانت كورالين واقفة فيها.

على أن كورالين لم تُعد واقفةً هناك، بل تخطو على أطراف أصابعها بالفعل بكلّ ما يُمكنها من هدوء، تصعد الدّرجات التي ستأخذها بعيداً عن القبو المعتم ذي الرُسوم البسيطة على جُدرانها، وإن لم تستطع أن ترفع عينيها عن الأرض أسفلها، التي راح الشّيء السّاحب يتخبّط ويتلوّى عبرها محاولاً اصطيادها.

ثم، كأن هناك من قال له ماذا يفعل، كفّ الكائن عن الحركة ومال رأسه الأعمى إلى الجانب.

فكّرت كورالين: *يُحاول أن يسمع حركتي*. يجب أن أكون في منتهى الهدوء، وصعدت درجةً أخرى إلى أعلى، وانزلت قدمها على الدّرجة، وسمّعها الشّيء.

مال رأسه نحوها، وللحظةٍ ترنّح وبدأ كأنه يستجمع شتات عقله، ثم بسرعة الأفعى انزلق نحو السّلام وبدأ يسري عليها نحوها. دارت كورالين على عقبيها وهرعت تعدو بجنونٍ صاعدةً الدّرجات الباقية، ودفعت نفسها إلى أعلى على أرضيّة غرفة النّوم المتربة، ودون أن تتوقّف جذبت الباب السريّ الثّقيل نحوها وتركته يسقط، فهوى الباب منغلقاً بصوتٍ عنيف في اللّحظة نفسها التي صدمه فيها شيء ثَقِيل، وارتجّ الباب السريّ واهتزّ في الأرض، لكنه ظلّ في مكانه.

أخذت كورالين نفسها عميقاً. لو كان في الشّقة أيُّ أثاث، ولو مقعد حتى، لوضعته فوق الباب السريّ، لكن لا أثاث هنا.

خرجت من الشّقة بأقصى سرعةٍ وإنما دون أن تجري، وأوصدت

الباب الأمامي خلفها، وتركت المفتاح تحت ممسحة الباب، ثم نزلت إلى ممر السيارات.

كان عندها شبه توقُّع أن تجد الأم الأخرى واقفةً هناك تنتظر خروجها، لكنها وجدت العالم صامتاً خالياً.
كم تُريد كورالين أن تعود إلى بيتها.

احتضنت نفسها قائلةً لها إنها شجاعة، وكادت تُصدِّق نفسها، ثم سارت إلى جانب المنزل في الضباب الرمادي الذي ليس ضباباً، وانجَّهت إلى السَّلام لتصعد إلى الطَّابق العلوي.



صعدت كورالين سلام المبنى الخارجية إلى شقة الطابق العلوي، حيث - في عالمها - يُقيم الرَّجل العجوز المجنون. كانت قد ذهبت هناك مرَّةً مع أمِّها الحقيقيَّة وقت جمعها المال للعمل الخيري، ووقفت كلتاها في المدخل المفتوح تنتظران أن يعثر العجوز المجنون ذو الشارب الكبير على المظروف الذي تركته أمُّها، وقد أفعمت الشقة روائح أطعمة عجيبة وتبع الغلايين، وأشياء أخرى لها رائحة حادة غريبة ذكَّرتها بالجُبنة، وإن لم تدركه تلك الأشياء، ولم ترغب في أن تتقدَّم خطوةً واحدةً أخرى إلى داخل الشقة.

قالت كورالين بصوت عالٍ: «أنا مستكشفة»، لكن صوتها خرج مكتوماً خامداً في الهواء الضَّبابي. لقد خرجت من القبو، أليس كذلك؟ نعم، لقد خرجت، ولكن إن كان ثمة شيء واحد تُوقن به كورالين، فهو أن هذه الشقة ستكون أسوأ.

بلغت قمة المنزل. في الماضي كانت شقة الطابق العلوي عُلِّيَّة المنزل، لكن ذلك كان منذ زمنٍ طويل.

طرقت الباب المطلي بالأخضر، فانفتح ودخلت.

لنا عيون ولنا أعصاب

لنا ذيول لنا أسنان

ستنالون كلكم ما تستحقون

حين ننهض من تحت التراب

سمعت دسنة أو أكثر من الأصوات الصغيرة تهمس بهذه الكلمات، في تلك الشقة المظلمة ذات السقف المنخفض للغاية حيث يُلاقى الجدران، لدرجة أن كورالين تكاد تستطيع أن تَمُدَّ يدها إلى أعلى وتلمسه.

حدقت إليها أعين حمر، وأسرعت أقدام وردية صغيرة تبتعد مع دنوِّها، وانسلت ظلال أدكن عبر الظلال الكامنة على حافة الأشياء.

الرائحة هنا أسوأ كثيراً من رائحة شقة العجوز المجنون الحقيقي. تلك الشقة كانت رائحتها طعام (طعام كريبه في تقدير كورالين، لكنها تعلم أنها مسألة ذوق، فهي -مثلاً- لا تحبُّ التوابل والأعشاب والأشياء الغريبة)، أمّا هذا المكان فرائحته كأن كلَّ الأطعمة الغريبة في العالم قد تُرِكَت فيه لتتعفن.

قال صوت مُحْشِشٍ في غرفة بعيدة: «أيتها الصغيرة».

ردَّت كورالين: «نعم»، وقالت لنفسها: لستُ مرعوبة، وإذا فكَّرت في هذا علمت أنه صحيح. لا شيء هنا من شأنه أن يُرعبها،

فهذه الأشياء -حتى الشيء في القبو- ليست إلّا أوهاماً، أشياء صنعَها الأمُّ الأخرى في محاكاةٍ ساخرةٍ مريعةٍ للنَّاسِ الحقيقيِّين والأشياء الحقيقيَّة على الجانب الآخر من الرُّواق. استقرَّ رأي كورالين على أن الأمَّ الأخرى لا يُمكنها أن تصنع شيئاً حقّاً، بل تستطيع فقط أن تمسخ وتنسخ وتُشوّه ما هو موجود بالفعل.

ثم وجدت نفسها تتساءل لماذا وضعت الأمُّ الأخرى كُرَّة ثلج على رفِّ المدفأة في غُرَّة الاستقبال، في حين أن رفَّ المدفأة في عالم كورالين عارٍ تماماً.

وما إن سألت نفسها هذا السُّؤال حتى أدركت أن له إجابةً فعليَّةً.

لكن الصَّوت عاد يتكلَّم، وانقطع حبل أفكارها.

«تعالى أيتها الصَّغيرة. إنني أعرفُ ما تُريدين أيتها الصَّغيرة». كان الصَّوت جافاً خشناً فيه خشخشة، وقد حدا بكورالين إلى التَّفكير في حشرةٍ ضخمةٍ ميتة ما، وهو ما تُدرك سُخفه، فكيف يُمكن أن يكون لشيءٍ ميت -لا سيَّما حشرة ميتة- صوت؟

دخلت عدَّة غُرَف ذات سقوفٍ واطئةٍ مائلة، حتى بلغت الغُرَّة الأخيرة. كانت غُرَّة نوم، وقد جلسَ العجوز المجنون الآخر في طرفها القصيِّ في الظَّلام شبه الدَّامس، يرتدي معطفه ويعتمر قبَّعته. وإذ دخلت كورالين بدأ يتكلَّم قائلاً بصوتٍ كالذي تُحدِثه أوراق الشَّجر الجافَّة والهواء يدفعها على الرِّصيف: «لا شيء تغيَّر

أيتها الصَّغيرة. وماذا لو فعلتِ كلَّ ما وعدتِ بفعله؟ ماذا إذن؟ لا شيء تغَيَّر. ستعودين إلى بيتكِ، وستشعرين بالملل، وستعرَّضين إلى التَّجاهل. لا أحد سيُصغي إليك، يُصغي إليك فعلاً. أنتِ أذكى وأهدأ من أن يفهموك. إنهم لا ينطقون اسمكِ نطقاً صحيحاً حتى».

وتابع صوت الشَّيء الجالس في رُكن الغرفة: «ابقي هنا معنا. سنُصغي إليك ونلعب معكِ ونضحك معكِ. ستبني أمكِ الأخرى لكِ عوالم كاملةً تستكشفينها، وتهدمها كلَّ ليلةٍ حين تفرُغين. كلُّ يومٍ سيكون أفضل وأبهى من سابقه. أتذكُرِين صندوق اللُّعب؟ ألن يكون أفضل كثيراً أن يُبنى عالم كامل مثله من أجلكِ فقط؟».

سألت كورالين: «وهل ستحلُّ أيام غائمة مطيرة لا أدري ماذا أفعلُ خلالها، وليس هناك ما أقرأه أو أشاهده ولا مكان أذهبُ إليه، ويمضي اليوم ثقيلًا للأبد؟».

من قلب الظلال أجاب الرَّجل: «إطلاقاً».

سألت كورالين: «وهل ستكون هناك وجبات شنيعة مطهَّوة بوصفاتٍ فيها الثُّوم والطَّرخون والفول الأخضر؟».

همسَ الصَّوت من تحت قُبَّة العجوز: «كلُّ وجبةٍ ستكون مثار بهجة. لا شيء سيَدْخُل من بين شفَتَيْكِ دون أن يسرَّكِ كليَّةً».

سألت كورالين: «وهل يُمكنني أن أحظى بقُقَازين من نوع «داي جلو» وحذاءٍ مطَّاط أصفر طويل العُنق على شكل ضفدعة؟».

«ضفدعة وبطَّة وخرتيت وأخطبوط... أيّاً كان ما تشتهين».

سُيِّنِي الْعَالَمَ مِنْ جَدِيدٍ لَكَ كُلَّ صَبَاحٍ. إِذَا بَقِيَتْ هُنَا فَسْتَحْظِي بِكُلِّ مَا تَشَاءِينَ».

تَنَهَّدَتْ كُورَالَايْنُ، وَقَالَتْ: «أَنْتِ لَا تَفْهَمُ حَقًّا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ إِنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ أَحْظِيَ بِكُلِّ مَا أَشَاءُ. لَا أَحَدٌ يُرِيدُ هَذَا حَقًّا. مَا الْمَتْعَةُ فِي أَنْ أُنَالَ كُلَّ شَيْءٍ أَرْغَبُ فِيهِ؟ أُنَالُهُ بِمَنْتَهَى الْبَسَاطَةِ لَكِنَّهُ لَا يَعْنِي شَيْئًا، وَمَاذَا بَعْدُ؟».

قَالَ الصَّوْتُ الْهَامِسُ: «لَسْتُ أَفْهَمُ».

رَدَّتْ رَافِعَةً الْحَجَرَ الْمُثْقَبَ إِلَى عَيْنِهَا: «بِالطَّعِ لَسْتُ تَفْهَمُ. إِنَّكَ مَجْرَدُ نَسْخَةٍ رَدِيئَةٍ صَنَعْتَهَا هِيَ مِنْ سَاكِنِ الطَّابِقِ الْعُلَوِيِّ الْمَجْنُونِ».

قَالَ الصَّوْتُ الْهَامِسُ الْمِيْتُ: «لَمْ أُعِدْ ذَلِكَ حَتَّى». مِنْ مَعْطَفِ الْمَطَرِ الَّذِي يَرْتَدِيهِ الرَّجُلُ يَأْتِي وَهَجٌ مِنْ عَلَى ارْتِفَاعِ الصَّدْرِ تَقْرِيْبًا، وَعَبْرَ الثُّقْبِ فِي الْحَجَرِ يَلْتَمِعُ يَتَلَأَلُ بِالْأَبْيَضِ الْمَزْرَقِ كَمَا النُّجُومُ. تَمَنَّتْ كُورَالَايْنُ لَوْ أَنْ مَعَهَا عَصَا أَوْ مَا شَابَهَ تَحْزَهُ بِهَا، فَهِيَ لَا تَرْغَبُ عَلَى الْإِطْلَاقِ فِي الدُّنُو أَكْثَرَ مِنَ الرَّجُلِ الْمُحْفُوفِ بِالظَّلَالِ فِي رُكْنِ الْغُرْفَةِ.

تَقَدَّمَتْ كُورَالَايْنُ خُطْوَةً مِنَ الرَّجُلِ فَتَهَاوَى، وَقَفَزَتْ جَرْدَانِ سَوْدٍ مِنَ الْكُمَيْنِ وَمِنْ تَحْتِ الْمَعْطَفِ وَالْقَبْعَةِ، عَشْرُونَ جَرْدًا أَوْ أَكْثَرَ، تَلْتَمِعُ أَعْيُنُهَا الْحَمْرُ فِي الظَّلَامِ. صَرَّتِ الْجَرْدَانِ إِذْ فَرَّتْ، وَاهْتَزَّتْ الْمَعْطَفُ وَسَقَطَ أَرْضًا بِصَوْتٍ ثَقِيلٍ، وَتَدَحَّرَجَتِ الْقَبْعَةُ إِلَى أَحَدِ أَرْكَانِ الْغُرْفَةِ.

مَدَّتْ كُورَالَايْنُ يَدَهَا وَفَتَحَتِ الْمَعْطَفَ، لَكِنَّهَا وَجَدَتْهُ خَالِيًا وَإِنْ كَانَ لَهُ مَلْمَسٌ دُهْنِي، وَلَا أَثَرَ لِلْكُرْيَةِ الزُّجَاجِ الْأَخِيرَةِ. جَاسَتْ

ببصرها في الغُرفة وقد ضيّقت عينها لترى عبر الثقب في الحجر، ولمحت شيئاً متقدماً يتلأأ كنجمه على الأرض عند المدخل، وقد حمّله بكفّيه الأماميّتين أكبر الجرذان السّود حجماً، وبينما نظرت انسلّ الجرذ مبتعداً.

وراقبتّها الجرذان الأخرى من أركان الغُرف إذ اندفعت تُطارده.

من المعروف أن الجرذان أسرع من البشر في الرّكض، خصوصاً في المسافات القصيرة، لكن جرذاً أسود كبيراً يحمل كُريّة من الرُّجاج بكفّيه الأماميّتين ليس ندّاً لفتاة عاقدة العزم ترْكُض وراءه (حتى إذا كانت صغيرة الحجم بالنسبة إلى سنّها). راحت الجرذان السّود الأصغر تجري جيئةً وذهاباً في طريقها محاولةً تشتيت انتباهها، لكنها تجاهلتها جميعاً وركّزت ناظرها على الجرذ حامل الكُريّة، الذي انطلق صوب الباب الأمامي ليخرُج من الشقّة.

وبلغا سلام المبنى الخارجيّة.

وجدت كوراالين وقتاً يكفي أن تلاحظ أن المنزل نفسه مستمرٌّ في التبدُّل، وقد أضحى أقلّ وضوحاً وما زال يتسطّح وهي تهرع نازلةً السّلام، والآن يُذكّرها المنظر بصورةٍ لمنزلٍ وليس المنزل نفسه. وفي اللّحظة التّالية كانت -فقط- تعدو بطيشٍ على السّلام مطاردةً الجرذ، دون مساحةٍ في عقلها لأيّ شيءٍ آخر، واثقةً بأنّها تدنو منه. كانت تعدو بسرعةٍ... بسرعةٍ شديدة جدّاً كما اكتشفت عندما بلغت قاعدة مجموعة درجات، وزلّت قدمها والتوت لتسقط مرتطمةً بالبسطة الإسمتيّة.

وجدت رُكبتهَا اليُسرى مكشوفةً مسحوبةً، وراحة اليد التي رفعتها أمامها لتُوقِف نفسها فوضي من الجلد المكشوط وحُبيبات الإسمنت. أَحسَّت بشيءٍ من الألم، وإن علمت أنه سرعان ما سيتضاءَل. التقطت حُبيبات الإسمنت من راحة يدها ونهضت، وبأقصى سرعتها، على الرغم من معرفتها أنها خسرت وفات الأوان بالفعل، نزلت مجموعة الدرجات الأخيرة إلى الأرض.

وتلفتت حولها باحثةً عن الجرذ، لكنه اختفى ومعه الكُرّة.

أَحسَّت بنخزٍ في يدها حيث انكشَطَ الجلد، ورأت الدَّم يَقْطُرُ على ساق منامتها الممزقة من جرح رُكبتهَا، الذي تعدّه بمثل سوء الجرح الذي أصيبت به في ذلك الصَّيف الذي خلعت فيه أمُّها عجلتي التَّدريب عن درَّاجتها، مع فرق أن حينها، جنباً إلى جنبٍ مع كلِّ الجروح والكشوط (وعلى رُكبتي كورالين جُلب فوق جُلب)، كان هناك شعور بالإنجاز، لأنها كانت تتعلَّم شيئاً، تفعل شيئاً لم تكن تعرف كيف تفعله قبلها. أمّا الآن فلا تَشْغُرُ إلَّا بخسارة باردة. لقد خذلت الأطفال الأشباح، خذلت والديها، خذلت نفسها، فشلت في كلِّ شيء.

أغلقت عينيها وتمنّت أن تنشقَّ الأرض وتبتلعها.

ثم إنها سمعت سَعلةً.

فتحت عينيها ورأت الجرذ منطرحاً على الممرِّ القرميدي عند قاعدة السَّلام، وعلى وجهه نظرة مندهشة... وجهه الذي يَبْعُدُ عدَّة بوصاتٍ الآن عن بقيَّة جسمه. شواربه متيبَّسة، وعيناه مفتوحتان

عن آخرهما، وأسنانه ظاهرة وصفرة وحادة، وبُعْثقه يُحِيط طوق
لامع من الدِّماء الطَّازجة.

إلى جوار الجرد مقطوع الرَّأس، وبتعبير متعجرف على وجهه،
وقف القِطُّ الأسود، وقد أراح كَفَّه على كُرْيَةِ الزُّجاج الرَّمادية.

قال القِطُّ: «أظنُّ أنني ذكرتُ ذات مرَّةٍ أي لا أحبُّ الجرذان في
الأوقات الطَّيِّبة، ولكن بدا لي أنك في حاجةٍ إلى هذا الجرد. آملُ أنك
لا تُمانعين تدخلي».

ردَّت كورالين محاولةً التقاط أنفاسها: «أظنُّ... أظنُّ أنك
قلت شيئاً شبيهاً».

رفع القِطُّ كَفَّه عن الكُرْيَةِ، فتدحرجت في أنجاء كورالين التي
التقطتها.

وفي عقلها همس صوت أخير بلهجةٍ ملحة: «لقد كذبت عليك.
إنها لن تتخلَّى عنك، لن تتخلَّى عن أيِّ منا أبداً مثلما لن تُغيِّر طبيعتها
أبداً».

انتصبت الشُّعيرات على مؤخِّرة عُنق كورالين، وعلمت أن
صوت الفتاة يقول الحقيقة.

وضعت الكُرْيَةِ في جيب معطفها المنزلي مع الآخرين.

إن معها الكريّات الثلاث الآن.

وما عليها إلَّا أن تعرُّ على أبويها.

وأدركت كورالين مندهشةً أن هذا الجزء سهل. إنها تعرف

مكان أبوينها بالضبط، ولو توقفت لتفكر لعرفت أين هما من البداية. الأم الأخرى لا تستطيع أن تخلق شيئاً، ولا يمكنها إلا أن تحوّل وتُشوّه وتُغيّر.

رفت المدفأة في غرفة الاستقبال في بيتها خالٍ تماماً، لكن معرفتها هذه صاحبته معرفة أخرى.

قالت كورالين: «الأم الأخرى تنوي أن تُخلف وعدها، لن تدعنا نرحل».

ردّ القط: «لن يدهشني هذا. كما قلت، لا شيء يضمن أن تلعب بالعدل»، ثم إنه رفع رأسه قائلاً: «مهلاً... هل رأيت هذا؟».

«ماذا؟».

«انظري وراءك».

كان المنزل قد تسطح أكثر فأكثر، ولم يعد يبدو كصورة، بل هو أقرب إلى رسم، خربشة بسيطة بالفحم لمنزل على ورقة رمادية.

قالت كورالين: «أياً كان ما يجري فشكراً لك على مساعدتك مع الجرد. أظن أنني على وشك بلوغ النهاية، أليس كذلك؟ فاذهب إذن وسط الضباب أو أينما تذهب، وأنا... أمل أن أراك في البيت، إذا سمحت لي بالعودة إلى البيت».

كان شعر القط منتصباً عن آخره، وذيله منفوشاً كفرشة تنظيف المدخنة.

سألته كورالين: «ما الخطب؟».

أجابها القِطُّ: «لقد اختفت، لم تعد موجودة، الطُّرق من وإلى هذا المكان، تسطّحت تماماً».

«أهذا سبب؟».

خفَصَ القِطُّ ذيله محرّكاً إياه من جانبٍ إلى جانبٍ بغضب، وأصدرَ زجرجة خفيضةً من مؤخرة حلقة، ثم دارَ في حلقةٍ حتى أصبحَ ظهره لكورالين، وبدأ يمشي إلى الخلف بجمودٍ خُطوةً خُطوةً، إلى أن التصقَ بساق كورالين، فأنزلتَ يدها ثمّلسَ عليه وشعرتَ بضربات قلبه العنيفة وبجسمه يرتجف كورقة شجرٍ ميتة في مهبٍّ عاصفة.

قالت له كورالين: «ستكون بخير. كلُّ شيءٍ سيكون بخير. سأخذك إلى البيت».

ولم ينبس القِطُّ ببنت شفة.

قالت كورالين: «هلمَّ أيها القِطُّ»، وتراجعتْ خُطوةً نحو السَّلام، إلّا أن القِطَّ لبثَ في مكانه وقد بدا عليه البؤس، والغريب أن حجمه بدا أصغر كثيراً.

«إذا كان طريق الخروج الوحيد يمرُّ بها فهذا هو الطُّريق الذي سنسلكه»، قالتها كورالين وعادت إلى القِطِّ وانحنّت ورفعته، فلم يُقاومها، وإنما راحَ يرتجف فقط. حملتْ كورالين مؤخرته بيدها وأراحت قائمته الأماميتين على كتفها، وقد وجدت وزنه ثقيلاً وإن لم يكن أثقل من أن تحمله، ولعقَ القِطُّ راحة يدها حيث ينبع الدَّم من جرحها.

صعدت كورالين السلم خطوةً تلو الأخرى متَّجهةً إلى
شَقَّتْهَا، تعي أن الكُرَيَات الثلاث يخبط بعضها بعضاً في جيبها،
وتعي وجود الحجر المثقوب، وتعي أن القِطَّ يضمُّ نفسه إليها بقوة.
وصلت إلى باب شَقَّتْهَا الأمامي -الذي صار الآن شخبطة
طفلٍ صغيرٍ لباب- ودفعته وهي تكاد تتوقَّع أن تُمزَّقه يدها فتكشف
أن وراءه لا شيء إلا سواد ونجوم متناثرة.
لكن الباب انفتح، ودخلت كورالين.



حالما دخلت كورالين شقتها -أو بالأحرى الشقة التي ليست شقتها- سرّها أن ترى أنها لم تتحوّل إلى الرّسم الخالي الذي صارته بقية المنزل. ما زال للمكان عمق، وفيه ظلال، وثمة من تقف في الظلال منتظرة عودة كورالين.

قالت الأم الأخرى بنبرة مستاءة: «قد عدتِ إذن، و جلبتِ معكِ طفيلًا».

ردّت كورالين: «لا، بل جلبتُ صديقًا». كانت تشعرُ بجسم القِطّ يتخشب تحت يديها، كأنها يتوق إلى الابتعاد عن هنا، وقد أرادت أن تتمسّك به مثل الدّبدوب ليبثّ فيها الطّمأنينة، لكنها تعلم أن القِطط تكره أن تُعتصر أجسامها، وتظنّ أن القِطط الخائفة تنجح أكثر إلى العَصّ والخمش إذا استُفزّت بأيّ شكل، حتى إذا كانت في صفّك.

قالت الأم الأخرى بلهجة محايدة: «تعرفين أنني أحبّكِ».

ردّت كورالين: «طريقتكِ في إظهار هذا غريبة للغاية».

وخرجت إلى الردهة ثم انعطفت إلى غرفة الاستقبال، خطوة ثابتة بخطوة ثابتة، تتظاهر بأنها لا تشعر بنظرات عيني الأم الأخرى السوداوين الخاويتين على ظهرها. ما زال أثار جدتها ذو الطراز الرسمي هناك، وكذا رسم الفواكه الغريبة على الحائط (وإن أكلت الفواكه كلها الآن، ولم يتبق في الوعاء إلا لبُّ ثفاحة يسود، وعدة نويات برقوق وخوخ، وساق ما كان عنقود عنب)، وقد راحت المنضدة ذات الأقدام المنحوتة على شكل أسود تخدش البساط بأقدامها الخشبية المخلبية، كأنها تنتظر شيئاً ما بصبر نافذ. وفي أقصى الغرفة، في الركن، يقف الباب الخشبي الذي كان من قبل - في مكان آخر - يُفتح على حائط مصمت من القرميد. حاولت كورالين ألا تنظر ناحيته، ومن النافذة لم تر إلا ضباباً.

وأدركت كورالين أنها هنا أخيراً، في لحظة الحقيقة، في وقت حل العقدة. تبعثها الأم الأخرى إلى الداخل، والآن تقف في منتصف الغرفة بين كورالين ورف المدفأة، وتتطلع إليها بعينين هما زران أسودان. فكرت كورالين أن الأمر طريف، فالأم الأخرى لا تشبه أمها الحقيقية على الإطلاق، وتساءلت كيف انطلت عليها الخدعة فتخيّلت شبهاً بينهما. الأم الأخرى ضخمة، يكاد رأسها يمس السقف، ولونها شاحب للغاية كبطن العنكبوت، ويتلوى شعرها ويتمعج حول رأسها، وأسنانها حادة كالخناجر...

سألت الأم الأخرى بحدّة: «حسن، أين هي؟».

استندت كورالين إلى كرسيّ بذراعين، وعدلت وضع القِطّ

يُسراها، ودسّت يُمناها في جيّها وأخرجت الكُرَيَات الزُّجَاجِيَّة
الثَّلاث بلونها الرمادي المُغْبِش، وقد أصدّرت صلصلةً مع تخبُّطها
في راحة يدها. مدّت الأُمُّ الأخرى أصابعها البيض تُريد أن
تلتقطها، إلّا أن كورالين أعادتها إلى جيّها، ولحظتها علّمت أن
الأمر صحيح، أن الأُمَّ الأخرى لا تنوي إطلاقاً أن تُطلق سراحها
وتفي بكلمتها. كلُّ هذا لم يكن إلّا تسليّة لا أكثر. قالت: «مهلاً. إننا
لم نفرُغ بعدُ، أليس كذلك؟».

نظرت إليها الأُمُّ الأخرى شزراً، لكنها ابتسمت بعدويّة قائلة:
«نعم، أظنُّ أننا لم نفرُغ بعدُ. ما زال عليك العُثور على والدك،
أليس كذلك؟».

أجابَت كورالين: «بلى»، ولنفسها قالت: يجب ألا أنظر إلى
رفّ المدفأة، يجب ألا أفكّر فيه مجرّد تفكير.

قالت الأُمُّ الأخرى: «حسن، أخرجيهما إذن. هل تُريدان
البحث في القبو ثانية؟ لعلمك، إن عندي أشياء أخرى مثيرة للاهتمام
مخبّأة هناك».

قالت كورالين: «لا. إنني أعرفُ مكان والدي». كان القِطُّ
ثقيلاً بين ذراعيها، وقد حرّكته إلى الأمام لتحلّ محالبه من كتفها في
الآن نفسه.

«أين؟».

«الجواب منطقي. لقد بحثتُ في كلِّ مكانٍ يُمكنك إخفاءهما
فيه. إنها ليسا في المنزل».

ظَلَّتْ الأُمُّ الأُخْرَى واقفةً بمنتهى الثَّباتِ، لا تبوح بشيءٍ وتُطبق شفتيها عن آخرهما، مثل تمثالٍ من الشَّمْع، وحتى شعرها كفَّ عن الحركة.

واصلت كورالين وكلتا يديها تُطوِّقان القِطَّ الأسود بإحكام: «وهكذا أعرفُ أين يُمكن أن يكونا. لقد خبَّأتُهما في الممرَّيين المنزليين، أليس كذلك؟ إنهما وراء هذا الباب»، وأومأت برأسها نحو الباب في رُكنِ الغرفة.

وظَلَّتْ الأُمُّ الأُخْرَى ثابتةً كتمثال، وإن تسَلَّلت لمحة من ابتسامةٍ إلى ملاحظتها، وقالت: «أوه، حقاً؟».

«لَمْ لا تفتحينه؟ سيكونان هناك».

إنه سبيلها الوحيد إلى بيتها كما تعلم، لكن كلَّ شيءٍ يعتمد على حاجة الأُمِّ الأُخْرَى إلى السَّباتِ، حاجتها إلى ألا تفوز فحسب، بل أن تُربها أنها فازت.

ببطءٍ دَسَّتْ الأُمُّ الأُخْرَى يدها في جيب مئزرها وأخرجت المفتاح الحديد الأسود، وتحرك القِطُّ بغير راحةٍ بين ذراعي كورالين كأنه يُريد النزول، فخاطبته في سريرتها متسائلةً إن كان يُمكن أن يسمعها: ابقَ في مكانك بضع لحظاتٍ أخرى فقط. سأعيدنا إلى البيت. لقد قلتُ إنني سأفعلُ، هذا وعد. وبالفعل شعرت بالقِطَّ يسترخي قليلاً جداً بين ذراعيها.

ذهبت الأُمُّ الأُخْرَى إلى الباب ودَسَّتْ المفتاح في القفل.

وأدارته.

سمعت كورالين صوت آليّة القفل الثقيل، وقد بدأت تتحرّك بالفعل بمنتهى الهدوء بظهرها صوب رفّ المدفأة.

دفعَت الأمُّ الأخرى مقبض الباب إلى أسفل وفتحتّه كاشفةً عن ممرٍّ خالٍ مظلم وراءه، وقالت ملوِّحةً بيدها نحو الممرِّ: «هاكِ». كانت رؤية تعبير الابتهاج على ملاحظها لحظتها من أسوأ ما يُمكن. «أنتِ مخطئة! لستِ تعرفين مكان والديكِ، أليس كذلك؟ إنها ليسا هناك»، والتفتت تنظُر إلى كورالين، وأردفت: «والآن ستبقي هنا إلى أبد الأبدين».

قالت كورالين: «لا، لن أبقى»، وبكلّ ما لديها من قوّة ألقت القِطَّ الأسود نحو الأمِّ الأخرى، وعوى القِطُّ وحطَّ على رأس الأمِّ الأخرى، يطوّح مخالبه ويكشّر عن أنيابه بشراسةٍ وغضب، وقد انتفش شعره تماماً فبدأ أكبر من حجمه في العالم الحقيقي.

ودون أن تنتظر لترى ما سيحدث رفعت كورالين يدها إلى رفّ المدفأة وقبضت على كُرّة الثلج، ثم دسّتها في عمق جيب معطفها المنزلي.

أصدر القِطُّ عواءً مولولاً عميقاً وأغمد أسنانه في وجنة الأمِّ الأخرى التي راحت تضربه بيديها بهياج، وقد سألت الدماء من جروح وجهها الأبيض، وإن لم تكن دماءً حمراً، وإنما سائل أسود حالك كالقطران.

وانطلقت كورالين نحو الباب.

وسحبت المفتاح من القفل.

صاحت في القِط: «اتركها! هلمّ!»، ففحّ وهوى بمخالبه الحادّة كالبيض بضرية عنيفة على وجه الأمّ الأخرى، خلّفت نرّاً أسود يقطر من جروح بليغة شتّى على أنفها، ثم إنه وثبّ في اتّجاه كورالين، التي قالت: «أسرع!»، وجرى القِط نحوها، ودخل كلاهما الممرّ المظلم.

كان الجوُّ أكثر برودةً داخل الممرّ، كأنك تنزل إلى القبو في يومٍ دافئ.

تردّد القِطُ برهةً، ثم وقد رأى الأمّ الأخرى تتّجه نحوهما جرى إلى كورالين ووقفَ عند ساقها.

وبدأت كورالين تُغلق الباب.

وجدته أثقل مما تخيلت، وإغلاقه أشبه بمحاولة إغلاق بابٍ في ريحٍ شديدة، ثم إنها شعرت بشيءٍ من الجانب الآخر يبدأ في سحب الباب إلى الاتّجاه المعاكس.

فكرت: انغلق! ثم قالت بصوتٍ عالٍ: «هيا، أرجوك»، وبدأت تشعُر بالباب يتحرّك في طريقه إلى الانغلاق متغلّباً على الرّيح الشّبيّة.

وفجأةً أدركت وجود أناسٍ آخرين معها في الممرّ. لم تستطع الالتفات برأسها لتَنظُر إليهم، لكنها عرفتُهم دون أن تضطرّ إلى النّظر، وقالت لهم: «ساعدوني أرجوكم، كلُّكم».

بوسيلة ما كان الأناس الآخرون في الممرّ - ثلاثة أطفال واثنان بالغان - يفتقرون إلى كيانٍ مادّي يُمكنهم من لمس الباب، غير أن أيديهم انغلقت على يدها وهي تشدُّ مقبض الباب الحديدي الكبير، وأحسّت كورالين فجأة بالقوّة.

وهمس صوت في عقلها: «لا تستسلمي يا آنسة! اثبتي! اثبتي!».

وهمس صوت آخر: «اسحبي يا فتاة، اسحبي!».

ثم إن صوتاً كصوت أمّها - أمّها الأصليّة، أمّها الحقيقيّة الرائعة المستفزّة العظيمة المثيرة للجنون - قال: «أحسنت يا كورالين»، وكان هذا يكفي.

وبدأ الباب ينغلق بمنتهى السهولة.

وصرخ صوت من وراء الباب: «لا!»، صوت لم يُعد له وقع آدمي على الإطلاق.

حاول شيء ما الإمساك بها من الفتحة التي تضيق بين الباب وإطاره، وأبعدت كورالين رأسها بحركةٍ حادّة، لكن الباب بدأ ينفّث من جديد.

قالت كورالين: «سنعود إلى البيت، سنعود. ساعدوني»، وانحنت تتفادى الأصابع السّاعية إلى الإطباق عليها.

وعندئذٍ تحرّكوا من خلالها، تمّدها أيديهم الشّبحيّة بقوّة لم تُعد تمتلكها. مرّت لحظة مقاومةٍ أخيرة، كأن شيئاً انحسر في الباب، ثم انصفق الباب الخشبي بصوتٍ مدوّ.

وسقطَ شيء ما من على ارتفاع رأس كورالين إلى الأرض،
وحطَّ بصوتٍ مكتوم كالخفيف.

قال القِطُّ: «هيا! ليس هذا مكاناً صالحاً نبقى فيه. أسرعي».

أدارت كورالين ظهرها إلى الباب وبدأت تجري بأقصى سرعةٍ
ممكنة عبر الممرِّ المظلم، تتحسَّس الجدار بيدها حرصاً على عدم
الاصطدام بشيءٍ أو الدَّوران حول نفسها في الظُّلمة.

كانت تجري كأنها تصعد منحدرًا، وبدأ لها أنها تقطع مسافةً
أطول من الممكن، والآن تشعرُ بالجدار الذي تلمسه دافئاً مرناً،
وأدركت أن له ملمساً كالقرو الزَّغب النَّاعم، وقد تحرَّك كأنها يأخذ
شهيقاً، وانتزعت كورالين يدها عنه.

وعوت الرِّيح في الظَّلام.

خشت كورالين أن تصطدم بشيءٍ ما، فعادت تضع يدها على
الجدار، وهذه المرَّة كان ما لمسته ساخناً مبتلاً، كأنها وضعت يدها في
فم أحدهم، فسحبتهَا مطلقَةً عويلاً خفيضاً.

كانت عيناها قد تكيَّفتا مع الظَّلام، ورأت أمامها في صورة رُقع
تتوهَّج بخفوتٍ شخصين بالغين وثلاثة أطفال، وسمعت القِطَّ
يتحرَّك في الظَّلام أمامها.

وثمة شيء آخر انطلقَ على حين غرَّةٍ يجري بين ساقيهما، وهو
ما كاد يُطيح بكورالين، لكنها أمسكت نفسها قبل أن تقع مستغلةً
عزم اندفاعها للاستمرار في الحركة، وقد علمت أنها إذا سقطت في

هذا الممرُّ فربما لا تنهض ثانيةً أبداً. أيّاً كان هذا الممرُّ فهو أقدم كثيراً من الأُمِّ الأخرى. إنه عميق، وبطيء، ويعرف أنها هناك...

ثم لاح ضوء النهار، وركضت كورالين نحوه وهي تنفخ وتلهث. نادّت مشجّعةً: «نكاد نصل»، لكنها اكتشفت في الضوء أن الأطياف اختفت وأنها وحدها، ولم تجد وقتاً لتساءل ماذا جرى للآخرين. بأنفاسٍ متقطّعة دخلت من الباب مترنّحةً وصفقته وراءها بأصخب دويٍّ لك أن تتخيّله، دويٌّ أفعمّها بالرّضا.

وأوصدت كورالين الباب بالمفتاح ثم أعادته إلى جيبتها.

كان القطُّ الأسود متكوراً على نفسه في أبعد أركان الغرفة، طرف لسانه الوردي ظاهر وعينه متسعتان، فذهبت كورالين إليه وأقعت إلى جواره قائلةً: «أسفة، أسفة لأنني ألقيتك عليها، لكنها كانت الوسيلة الوحيدة لتشتيت انتباهها كي نخرج جميعاً. ما كانت لتفي بكلمتها أبداً، أليس كذلك؟».

رفع القطُّ عينيه إليها، ثم أراح رأسه على يدها ولعق أصابعها بلسانه الخشن كالصنفرة، وبدأ يُخرّخر.

سألته كورالين: «نحن صديقان إذن؟».

جلست على أحد كراسي جدّتها غير المريحة ذات الذراعين، ووثب القطُّ يستريح في حجرها. الضوء الذي يترقرق من النافذة ضوء النهار، ضوء أواخر الأصيل الذهبي الحقيقي لا ضوء الضباب الأبيض، والسماء زرقاء بلون بيضة طائر أبي الحناء، وبإمكان

كورالين أن ترى الأشجار ومن ورائها التلال الخضراء التي يبهت
لونها عند الأفق فيصير درجات من الأرجواني والرمادي. لم تبدُ
السَّماء كالسَّماء هكذا من قبل قطُّ، ولا العالم كالعالم.

تطلَّعت كورالين إلى الأوراق على الشَّجر وإلى نُسق الضَّوء
والظُّلال على اللِّحاء المشقَّق لجذع شجرة الزَّان خارج النَّافذة،
ثم خفضت عينيها إلى حجرها، إلى الطَّريقة التي يُمشطُّ بها ضوء
الشَّمس الغني كلَّ شعرة على رأس القِطِّ ويُحيل شواربه البيضاء إلى
ذهب.

وخطر لها أنها لم تر شيئاً يُثير الاهتمام هكذا من قبل قطُّ.

وإذ انغمست كورالين في ما يُثيره العالم من اهتمام، لاحظت
بالكاد أنها التوت وتكوَّرت على نفسها كالقِطط فوق كرسيٍّ جدَّتها
غير المريح، ولم تلاحظ عندما غابت في نوم عميق بلا أحلام.



هَزَّتْهَا أُمُّهَا بِرَفْقٍ تُوقِظُهَا.

«كوراالين؟ يا له من مكانٍ غريبٍ تنامين فيه يا حبيبتي. ثم إن هذه الغرفة لأفضل الضيوف فقط. لقد بحثنا عنكِ في جميع أنحاء المنزل».

تَمَطَّت كوراالين وراحت تفتح عينيها وتُغْلِقُهَا قَائِلَةً: «آسفة، لقد غبتُ في النوم».

قالت أُمُّهَا: «أرى هذا. ومن أين جاء القِطُّ؟ كان منتظراً عند الباب الأمامي حين دخلتُ، واندفعَ يجري كالطَّلقة ما إن فتحتَه».

رَدَّتْ كوراالين: «لديه أشياء يفعلها على الأرجح»، ثم احتضنت أُمُّهَا بِشِدَّةٍ حَتَّى إِنَّ ذِرَاعِيهَا بَدَأَتْ تُوَلِّمَانِهَا، واحتضنتها أُمُّهَا بِدَوْرَهَا.

قالت أُمُّهَا: «العشاء خلال خمس عشرة دقيقة. لا تنسي أن تغسلي يديكِ. وانظري إلى سروال منامتك. ماذا فعلتِ بِرُكْبَتِكَ المسكينة؟».

أجابته كورالين: «تعثرت»، ثم إنها دخلت الحمام وغسلت يديها ونظفت ركبته الدامية، وبعدها دهنت الجروح والكشوط بالمرهم.

بعد ذلك دخلت غرفة نومها، غرفة نومها الأصليّة، غرفة نومها الحقيقيّة، ودست يديها في جيبي معطفها وأخرجت ثلاث كُريّات من الزُجاج وحجراً مثقوباً والمفتاح الأسود وكُرّة ثلجٍ فارغة.

رَجَّت الكُرّة وشاهدت الثلج اللّامع يدور في الهواء ليملاً العالم الخالي، ثم وضعتها وشاهدت الثلج يَسْقُط مغطياً البُقعة التي كان الزّوجان الصّغيران واقفين فيها من قبل.

تناولت كورالين قطعةً من الخيط من صندوق لُعبها ونظمت فيها المفتاح، ثم عقدت الخيط وعلّقه حول عنقها.

قالت: «تمام»، ثم ارتدت ثياباً نظيفةً وأخفت المفتاح تحت قميصها لتشعر بملامسه البارد على جلدها، أمّا الحجر فوضعتَه في جيبها.

قطعت كورالين الرّدهة إلى مكتب أبيها. كان ظهره لها، لكنها علمت بمجرد النّظر أن عينيه حين يلتفت ستكونان عيني أبيها الرّماديتين الطّيبتين، وقد تسلّلت نحوه وقبّلتَه على مؤخّرة رأسه الذي يزحف عليه الصّلع.

قال: «أهلاً كورالين»، ثم التفت وابتسم لها متسائلاً: «لماذا فعلتِ هذا؟».

أجابَت كورالين: «لا سبب. إنني أفتقدك أحياناً فقط».

قال: «أوه، عظيم»، وأغلقَ الكمبيوتر ونهَضَ، ثم دون سببٍ على الإطلاق حملَ كورالين، وهو الشيء الذي لم يفعله منذ فترةٍ طويلةٍ للغاية، منذ بدأ يشرح لها أنها كبرت للغاية على أن تُحمَل، أمّا الآن فقد ظلَّ يحملها حتى المطبخ.

تناولوا البيتزا ليلتها على العشاء، وعلى الرغم من أن أباهما أعدَّها في المنزل بنفسه (وهكذا كان العجين إمّا سميكاً وطرياً ونيئاً وإمّا رقيقاً للغاية ومحروقاً)، وعلى الرغم من أنه وضعَ عليها شرائح من الفلفل الأخضر بالإضافة إلى كُرات لحم صغيرة، ناهيك بقطع من الأناناس من بين الأشياء كُلِّها، فقد أكلت كورالين شريحتهما بأكملها.

بالأحرى أكلت كلَّ شيء باستثناء قطع الأناناس.

وسرعان ما حلَّ موعد النَّوم.

احتفظت كورالين بالمفتاح حول عنقها، وإن وضعت الكُرَيَات الزُّجاج تحت وسادتها، وفي منامها ليلتها رأت كورالين حُلماً.

كانت في نُزهةٍ خلويّة، تحت شجرة سَنديان عجوز في مرج أخضر، والشمس عالية في السَّماء، ومع أن بعيداً في الأفق ثَمَّة سحاب أبيض منفوش، فقد اصطبغت السَّماء فوق رأسها بزرقة عميقة صافية.

على الأرض مفرش من الكتَّان الأبيض مفرود على العُشب،

وفوقه آنية وُضِعَتْ فيها الأطعمة أكواماً، ورأت كورالين سلطاتٍ
وشطائر ومكسّرات وفواكه، وأباريق يملؤها اللّيمون والماء وحليب
الشّوكولاتة الثّخين. جلست على أحد جوانب المِفرش، فيما جلس
ثلاثة أطفال آخرون على الجوانب الأخرى، وقد ارتدوا أغرب
الثّياب طرّاً.

أصغرههم حجماً، الجالس إلى يسار كورالين، صبيّ وجهه
متسخ يرتدي سروالاً من المخمل الأحمر يصل إلى رُكبتيه وقميصاً
أبيض مكشكشاً، ويكُوم على طبقه البطاطس الطّازجة المسلوقة،
وما بدا كسمكة من السلمون المرقط كاملة مطبوخة باردة. قال لها:
«هذه أفضل نُزْهةٍ على الإطلاق يا سيّدي».

قالت كورالين: «نعم، أظنّها كذلك حقّاً. تُرى من نظّمها؟».
ردّت فتاة طويلة القامة تجلس قُبالتها: «أظنّ أنّك أنتِ التي
نظّمْتِها يا آنسة». ترتدي الفتاة فُستاناً بُنيّاً لا شكل له نوعاً، وعلى
رأسها قلنسوة بُنيّة تربطها تحت ذقنها. «ونحن ممتنون لها ولكلّ
شيءٍ آخر أكثر مما تستطيع الكلمات التّعبير». كانت تأكل شرائح من
الحُبز مع المربّى، بعناية تقطع الحُبز من رغيف بُنيّ ذهبي كبير بسكّين
ضخم، ثم تغرف عليه المربّى الأرجوانيّة بملعقة خشبيّة، وقد تلطّخ
ما حول فمها بالمربّى.

قالت الفتاة الجالسة إلى يمين كورالين: «أجل، هذا أشهى
طعام أكلته منذ قرون». طفلة شاحبة للغاية هي، ترتدي ما يبدو
كشبّكة عنكبوت، وعلى شعرها الأشقر حلقة من الفضة البرّاقة.

كانت كورالين لتُقسِم أن للفتاة جناحين يبرزان من ظهرها،
كجناحي فراشة فضيئة باهتين وليس جناحي طائر. على طبق الفتاة
زهور جميلة في كومة مرتفعة، وقد ابتسمت لكورالين كأن زمناً
طويلاً جداً مرَّ منذ ابتسمت، وكادت -ولكن ليس تماماً- تنسى
كيف تبتسم.

ووجدت كورالين نفسها تحبُّ هذه الفتاة للغاية.

ثم، كما هو دأب الأحلام، انتهت النزهة وراحوا يلعبون في
المرج، يجرون ويتصايحون ويتقاذفون كرة لامعة. عندئذٍ أدركت
كورالين أن هذا حلم، لأن أحداً منهم لم يتعب أو تضيق أنفاسه أو
يلهث، بل ولا عرق يخرج من مسامها حتى. كانوا يضحكون فقط،
ويجرون في لعبة هي خليط من المسافة والكلب الحيران واللَّهُو
الصَّاخب بلا حساب.

ثلاثة منهم كانوا يجرون على الأرض، في حين تُحلق الفتاة
الشَّاحبة فوق رؤوسهم بقليل، تنفض من أعلى بجناحي الفراشة
لتختطف الكرة، ثم تندفع إلى السماء ثانية قبل أن تُلقي الكرة إلى
أحد الأطفال الآخرين.

ثم، دون أن ينطق أحدهم كلمة واحدة، انتهت اللعبة وعادَ
أربعتهم إلى مفروش النزهة، حيث وجدوا أطباق الغداء وقد رُفِعت
وحلَّت محلَّها في انتظارهم أربعة أوعية، ثلاثة منها مليئة بالآيس
كريم، والرَّابع فيه كومة عالية من زهور العسلة.

وأكلوا بشهية.

قالت كورالالين: «شكراً على مجيئكم إلى حفلتي... إذا كانت حفلتي».

ردّت الفتاة المجنّحة وهي تقضم برقّة من زهرة: «على الرّحب والسّعة يا كورالالين جونز. إذا كان هناك شيء يُمكننا أن نفعله من أجلك لنشكرك ونكافئك...».

قال الصّبي ذو السّروال المخملي الأحمر والوجه المتّسخ: «أجل»، ومدّ يده وأمسك يد كورالالين، وهذه المرّة كانت يده دافئة.

أضافت الفتاة الطّويلة: «ما فعلته من أجلنا كان عظيماً حقّاً يا آنسة»، والآن كان الآيس كريم الشُّكولاتة يُلطّخ ما حول شفّتيها. قالت كورالالين: «إنني مسرورة فقط لأن كلّ هذا انتهى».

أهو خيالها أم أن أوجه الأطفال الآخرين في النُّزهة اكفهرت؟ مدّت الفتاة المجنّحة، والحلقة تتلألأ في شعرها كالنّجمة؛ يدها، وأراحتها لحظةً على ظهر يد كورالالين قائلة: «الأمر انتهى بالنّسبة إلينا. هذه منطقة تجمّعنا، ومن هنا سيذهب ثلاثتنا إلى أراضٍ مجهولة، ولا أحد حيّاً يدري ما سيحدّث بعدها...»، ثم بترت عبارتها ولاذت بالصّمت.

قالت كورالالين: «هناك لكن»، أليس كذلك؟ إنني أشعرُ بها كسحابة محمّلة بالأمطار.

حاول الصّبي الجالس إلى يسارها الابتسام بشجاعة، غير أن شفّته السّفليّة بدأت ترتجف، فعَضّها بأسنانه العلويّة ولم يقل شيئاً،

في حين اعتدلت الفتاة ذات القلنسوة البنية باضطراب، وقالت: «بلى يا آنسة».

قالت كورالين: «لكنني استعدتكم جميعاً، واستعدتُ مام وداد. لقد أغلقتُ الباب وأوصدته. ما الذي كان عليّ أن أفعله أكثر من هذا؟».

اعتصر الصبي يد كورالين بيده، ووجدت نفسها تتذكر حينها كانت هي التي تُحاول طمأنته، وقت أن لم يكن أكثر من ذكرى باردة في الظلام.

سألتهم كورالين: «طيب، ألا يُمكنكم أن تمدوني بدليل؟ أما من شيء تستطيعون إخباري به؟».

قالت الفتاة الطويلة: «البلدame أقسمت بيدها اليمنى السليمة، لكنها كذبت».

وقال الصبي: «مُرّيتي اعتادت على أن تقول إن لا أحد يُحمّل بما هو فوق طاقته»، وهزّ كتفيه إذ قال هذا كأنه لم يُقرر بعد إن كان هذا صحيحاً أم لا.

قالت الفتاة المجنحة: «حظاً سعيداً. نتمنى لك التوفيق والحكمة والشجاعة... ولو أنك أبديت بالفعل أنك تتمتعين بهذه النعم الثلاث كلها، وبوفرة».

اندفع الصبي يقول: «إنها تكرهك. إنها لم تفقد شيئاً منذ زمنٍ طويل جداً. كوني حكيمة، كوني شجاعة، كوني ماهرة».

وبغضبٍ قالت كورالايين في حُلُمها: «لكن هذا ليس عدلاً!
ليس عدلاً! المفترض أن يكون الأمر قد انتهى».

نهَض الصَّبِي ذو الوجه المتسخ وعانقَ كورالايين بشدَّةٍ هامساً لها: «خُذِي العزاء من هذه الفكرة؛ أَنْكِ حَيَّة، أَنْكِ على قيد الحياة».
وفي حُلُمها رأت كورالايين أن الشَّمْس غرِبَت والنُّجُوم تلتَمِع في السَّماء التي يزحف عليها اللَّيْل.

وقَفَت كورالايين في المرج وشاهدَت الأطفال الثلاثة (اثنان يمشيان وواحدة طائرة) وهم يبتعدون عنها عبر العُشب، وكان لونهم فضيًّا في ضوء القمر الهائل.

بلغَ ثلاثتهم جسراً خشبيًّا صغيراً فوق جدول ماء، وهناك توقَّفوا وافتحوا ولوَّحوا لكورالايين، فلوَّحت لهم.
وبعدها سادَ الظَّلام.

استيقظَت كورالايين في ساعات الصَّبَاح الباكرة مقتنعةً بأنها سمعت شيئاً ما يتحرَّك، وإن لم تكن متيقِّنةً من ماهيته.
وطفقت تنتظر.

أصدرَ شيء ما حفيفاً خارج باب عُرفتها، وتساءلت إن كان جرذاً. ثم اهتزَّ الباب، ونزلت كورالايين من الفراش.
قالت بحدَّة: «ارحل، ارحل، وإلاَّ ستندم».

رأَت الصَّمْتَ لحظةً، ثم ابتعدَ الشَّيءُ أيّاً كان مسرعاً عبر الرَّدْهة.

في خطوات أقدامه شيء غريب غير معتاد - إن كانت خطوات أقدام حقاً - ووجدت كوراالين نفسها تتساءل إن كان الشيء -ربما- جرذاً له ساق إضافية...

حدثت نفسها قائلة: «لم ينتهِ الأمر، أليس كذلك؟».

ثم إنها فتحت باب غرفة النوم، وأراها ضوء ما قبل الفجر الرمادي الرّدهة كلّها مهجورة تماماً.

ذهبت إلى الباب الأمامي مختلسة نظرة سريعة إلى مرآة باب خزانة الملابس المعلقة على الحائط في طرف الرّدهة الآخر، لا ترى شيئاً إلا وجهها الشّاحب يُأديها النّظر بملامح يغلب عليها النّعاس والجدّة. من غرفة والديها يأتي غطيظ خفيف مُطمئن، لكن الباب مغلق ككلّ الأبواب في الرّدهة. أياً كان ذلك الشيء الذي يجري فلا بدّ أنه في مكان ما هنا.

فتحت كوراالين الباب الأمامي ونظرت إلى السّماء الرّماديّة، تتساءل كم من الوقت تبقى على شروق الشّمس، وتتساءل إن كان حلّمها حقيقةً وهي تعلم في قلبها أنه كذلك. ثم فصل شيء ما، حسبته جزءاً من الظلّ تحت أريكة الرّدهة، نفسه عن الأريكة من أسفل، وانطلق بخربشة مجنونة نحو الباب الأمامي على أقدامه البيض الطويلة.

فغرت كوراالين فاها رعباً وابتعدت عن الطّريق إذ طقطق الشيء وهرع يمرُّ بها خارجاً من المنزل، يجري كسرطان البحر على أقدامه الكثيرة، يطرق الأرض وينقُرُها.

وأدركت كورا لاين ماهيته، وعلمت ما يسعى إليه. لقد رآته
مراتٍ عديدة في الأيام القليلة الماضية، يمتدُّ ويقبض ويتزعزُع ويُلقَى
الخنَافس السَّود بطاعةٍ في فم الأمِّ الأخرى. أقدامه خمس، وأظفاره
قرمزية، ولونه كالعظم.

الشَّيء هو يد الأمِّ الأخرى اليُمنى.

ويُريد المفتاح.



لم يبدُ إطلاقاً أن أبوي كورالين يذكُران أيَّ شيءٍ عن الوقت الذي أمضياه في كُرة الثلج. على الأقل لم يتكلَّما عنه قطُّ، ولم تأتِ كورالين على ذكره لهما ولو مرَّةً.

أحياناً تتساءل إن كانا قد لاحظنا أنها فقدا يومين كاملين في العالم الحقيقي، وفي النهاية رسى رأبها على أنها لم يفعلوا. لكن من ناحيةٍ أخرى ثمة أناس يعون كلَّ يوم وكلَّ ساعة تمرُّ عليهم تمام الوعي، وثمة أناس لا يفعلون ذلك، ولا شك أن والدي كورالين ينتميان إلى المجموعة الثانية.

كانت قد وضعت الكُرَيَات الثلاث تحت وسادتها، قبل الخلود إلى النَّوم في أول ليلة قضتها في عُرفتها الحقيقية بعد عودتها. عقب رؤيتها يد الأم الأخرى عادت كورالين إلى الفراش، وإن لم يتبقَّ من الوقت ما يكفي للنَّوم، وأراحت رأسها من جديد على الوسادة.

وإذ فعلت هذا سمعت شيئاً ما ينسحق بنعومة.

اعتدلت جالسةً ورفعت الوسادة، وبدت لها شظايا الكُرَيَات

الزُّجَاجِيَّة التي رَأَتْهَا كَبْقَايَا قَشْرِ الْبَيْض الذي يَجِدُهَا الْمَرْء تَحْتَ
الْأَشْجَارِ فِي الرَّبِيع، كَبَيْض طَائِر أَبِي الْحَنَاءِ الْخَاوِي الْمَكْسُور، أَوْ شَيْءٍ
أَكْثَر رَقَّةً كَبَيْض طَائِر النَّمْنَمَةِ مِثْلًا.

أَيَّا كَانَ مَا فِي دَاخِل الْكُرَاتِ الزُّجَاجِيَّةِ لَمْ يَعُدْ مَوْجُودًا، وَفَكَّرَتْ
كُورَالَايْن فِي الْأَطْفَالِ الثَّلَاثَةِ يُلَوِّحُونَ لَهَا مَوْدَّعِينَ فِي نَوْرِ الْقَمَرِ،
يُلَوِّحُونَ قَبْلَ أَنْ يَعْبرُوا ذَلِكَ الْجَدُولِ الْفُضِّي.

جَمَعَتِ الشَّظَايَا الْمُهْشَّةَ كَقَشْرِ الْبَيْض بِحَرَصٍ، وَوَضَعَتْهَا فِي عُلْبَةٍ
صَغِيرَةٍ كَانَتْ فِي السَّابِقِ تَحْوِي سَوَارًا أَهْدَتْهَا لَهَا جَدَّتُهَا فِي صِغَرِهَا.
السَّوَارِ ضَائِعٌ مِنْذَ فِتْرَةٍ طَوِيلَةٍ، لَكِنَّ الْعُلْبَةَ بَقِيَتْ.

عَادَتِ الْآنَسَتَانِ سِپِينْكَ وَفُورْسِيْبِلُ مِنْ زِيَارَةِ ابْنَةِ أُخْتِ الْآنَسَةِ
سِپِينْكَ، وَنَزَلَتْ كُورَالَايْنُ إِلَى شَقَّتِهِمَا تَتَنَاوَلُ الشَّاي. إِنَّهُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ،
وَيَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ سَتَرْجِعُ كُورَالَايْنُ إِلَى الْمَدْرَسَةِ وَيَبْدَأُ عَامَ دِرَاسِيٍّ
جَدِيدٍ.

أَصْرَتْ الْآنَسَةُ فُورْسِيْبِلُ عَلَى قِرَاءَةِ أَوْرَاقِ شَايِ كُورَالَايْنِ،
وَبَعْدَ ذَلِكَ قَالَتْ: «يَبْدُو أَنَّ الرِّيَّاحَ تَجْرِي بِمَا تَشْتَهِي السُّفُنُ فِي الْغَالِبِ
يَا حَبُوبَتِي».

تَسَاءَلَتْ كُورَالَايْنُ: «مَعْذَرَةٌ؟».

قَالَتْ الْآنَسَةُ فُورْسِيْبِلُ: «كُلُّ شَيْءٍ بِخَيْرٍ... أَوْ كُلُّ شَيْءٍ تَقْرِبًا.
لَسْتُ مُتَاكِّدَةً مِنْ كُنْهِ هَذَا»، وَأَشَارَتْ إِلَى كُتْلَةٍ مِنْ أَوْرَاقِ الشَّايِ
مِلْتَصِقَةٍ بِأَحَدِ جَوَانِبِ الْفَنْجَانِ.

طَقَطَقَتِ الْآنَسَةُ سَپِينَك بِلَسَانِهَا اسْتِنكَاراً، وَمَدَّتْ يَدَهَا تَتَنَاولُ
الْفَنجَانَ قَائِلَةً: «حَقّاً يَا مِيرِيَام. أُعْطِنِي إِياه، دَعِينِي أَرَى...»، ثُمَّ إِنَّهَا
رَاحَتْ تُغْمِضُ عَيْنَيْهَا وَتَفْتَحُهُمَا مِنْ وَرَاءِ نَظَّارَتِهَا السَّمِيكَةِ، وَقَالَتْ:
«أَوَه، عَجَباً! لَا، لَيْسَتْ عِنْدِي فِكْرَةٌ عَنْ دَلَالَةِ هَذَا. إِنَّهُ يَكَادُ يَبْدُو
كَالِيَدِ».

نَظَرَتْ كُورَالَايْن، وَوَجَدَتْ بِالْفِعْلِ أَنَّ كُتْلَةَ الْأُورَاقِ تُشَبِّهُ يَدًا
تَمْتَدُّ إِلَى شَيْءٍ مَا.

كَانَ الْكَلْبُ السَّكُوتْلَنْدِي هَامِيشْ مَخْتَبِئاً تَحْتَ مَقْعَدِ الْآنَسَةِ
فُورَسِييل وَيَأْبَى الْخُرُوجَ.

قَالَتْ الْآنَسَةُ سَپِينَك: «أَظُنُّهُ كَانَ فِي شَجَارٍ مَا. الْعَزِيزُ الْمَسْكِينُ
مَصَابٌ بِجَرَحٍ عَمِيقٍ فِي جَانِبِهِ. سَنَأْخُذُهُ إِلَى الطَّيِّبِ الْبَيْطَرِيِّ الْيَوْمَ
بَعْدَ الظُّهْرِ. لَيْتَنِي أَعْرِفُ مَا الَّذِي فَعَلَ هَذَا بِهِ».

وَعَلِمَتْ كُورَالَايْن أَنَّ لَا بُدَّ مِنْ عَمَلِ شَيْءٍ.

خِلَالَ الْأُسْبُوعِ الْآخِرِ مِنَ الْعُطْلَةِ كَانَ الطَّقْسُ بَدِيعاً، كَأَنَّ
الصَّيْفَ نَفْسَهُ يَبْتَغِي تَعْوِضَهُمْ عَنِ الطَّقْسِ الرَّدِيِّ الَّذِي ابْتَلَوْا بِهِ،
بِمَنْحِهِمْ بَعْضَ الْأَيَّامِ الْبَهِيْجَةِ الْبَهِيَّةِ قَبْلَ رَحِيلِهِ.

حِينَ رَأَاهَا سَاكِنُ الطَّابِقِ الْعُلُويِّ الْعَجُوزُ الْمَجْنُونُ تُغَادِرُ شَقَّةَ
الْآنَسَتَيْنِ سَپِينَك وَفُورَسِييل نَادَاهَا مِنْ فَوْقِ الْحَاجِزِ صَائِحاً: «هَآي!
أَهْلَا! أَنْتِ! كَارُولَايْن!».

رَدَّتْ: «اسْمِي كُورَالَايْن. كَيْفَ حَالُ الْفَتْرَانِ؟».

حكَّ العجوز المجنون شاربهِ مجيباً: «شيء ما أخافها. أظنُّ أن هناك ابن عرس في المنزل. شيء ما موجود هنا. لقد سمعته في الليل. في بلدي كنا لننْصُبْ له مصيدةً، وربما نضع قطعةً من اللحم أو الهامبرجر، وحين يأتي المخلوق ليأكل... بام! يقع في المصيدة ولا يُزعِجنا بعدها أبداً. الفئران خائفة لدرجة أنها تَرْفُضُ الإمساك بآلاتها الموسيقيَّة الصَّغيرة».

قالت كورالين: «لا أظنه يُريد اللحم»، ورفعت يدها ومسّت المفتاح الأسود المعلق من رقبتها، ثم دخلت شقتها.

استحمّت وقد احتفظت بالمفتاح معلقاً من عنقها طيلة الوقت الذي أمضته في المغطس. إنها لم تُعدّ تخلعه أبداً.

بعد خلودها إلى النوم أخذ شيء ما يחדش زجاج نافذة غرفتها، وكانت كورالين شبه نائمة، إلّا أنها نزلت من الفراش وفتحت الستائر، لشب يد بيضاء ذات أظفار قرمزية من إفريز النافذة إلى ماسورة صرف وتغيب في الحال عن النظر، وعلى الجانب الآخر من النافذة رأت كورالين شقوقاً غائرة في الزجاج.

نامت كورالين باضطراب ليلتها، تصحو بين الحين والآخر لتدبّر وتخطّط وتُفكّر ملياً، ثم تغوص ثانية في النوم دون أن تتيقّن أبداً أين انتهى التفكير وبدأت الأحلام، وقد أرهفت أذناً طوال الوقت لتسمع إن كان شيء ما يחדش زجاج نافذتها أو باب غرفتها.

في الصّباح قالت كورالين لأمّها: «سأذهب في نزهة مع دُماي

اليوم. هل لي أن أستعير ملاءة - واحدة قديمة لم تعودى تحتاجين إليها - أستخدمها كمفرش؟».

قالت أمها: «لا أظن أن عندنا واحدة»، ثم فتحت درج المطبخ ورفعت المناديل والمفارش وبحثت، قبل أن تقول: «مهلاً. هل يصلح هذا؟».

كان مفرش مائدة ورقياً مطوياً، من النوع الذي يُستخدم مرّة قبل التخلّص منه، مغطى بالأزهار الحمر ومتبقياً من نُزهة ذهبوا فيها قبل عدّة سنوات.

قالت كورالين: «ممتاز».

قالت السيّدة جونز: «لم أحسب أنك ما زلتِ تلعين بدّمائك حتى الآن».

ردّت كورالين: «لستُ ألعُبُ بها. إنها زينة وقائيّة فقط».

«حسن، عودي في موعد الغداء. وقتاً طيباً».

ملأت كورالين صندوقاً من الورق المقوّى بالدُّمى وعدّة أقداح شاي بلاستيكيّة لعبة، وملأت إبريقاً بالماء.

ثم خرجت. ذهبت إلى الطريق كأنها متّجهة إلى الشّوق، وقبل أن تَبْلُغ السّوپر ماركت عبرت سياجاً إلى منطقة مقفّرة وسارت بمحاذاة ممرّ سيّارات قديم، ثم زحفت من تحت مجموعة من الشّجيرات، وقد اضطرّت إلى الزّحف من تحتها مرّتين كي لا تَسْكُب الماء من الإبريق.

كانت رحلتها دائريّةً ملتويةً، وإنْ شعرت كورالين في نهايتها
بالرّضا لأن شيئاً لم يتبعها.

خرجت وراء ملعب التنس البالي، وعبرته إلى الرّوضة التي
تتميّل فيها أعواد الكلاء، وعلى حافتها وجدت ألواح الخشب. كانت
ثقيلةً على نحوٍ مدهش، تكاد تكون أثقل من أن ترفعها فتاة حتى
ببذلها أقصى قوّتها، لكنها تمكّنت من رفعها. لم تكن تملك خياراً.
رفعت الألواح واحداً تلو الآخر وهي تخور وتتصبّب عرقاً من
فرط المجهود، لتكشف عن فتحةٍ مستديرة عميقة مبطنّة بالقرميد
في الأرض، تفوح منها رائحة الرّطوبة والظّلّة، وقد بدا القرميد
مائلاً إلى الأخضر وزلقاً.

فردت المِفْرش ووضعت به خرصٍ فوق قمّة البئر، ووضعت
فوقه قدحاً لُعبة كلّ قدمٍ تقريباً على حافة البئر، وأثقلت كلّ قدحٍ
بالماء من الإبريق.

وضعت دُميةً على العُشب إلى جوار كلّ قدح جاعلةً المنظر يبدو
كحفلة شايٍ للدمى قدر المستطاع، ثم عادت أدراجها، تزحف من
تحت مجموعة الشُجيرات وتمشي بمحاذاة ممرّ السيّارات الأصفر
المغبرّ وحول السُّوق من الخلف، حتى بلغت منزلها.

مدّت يدها وخلعت المفتاح من حول عُنقها، ودلّته من الخيط
كأنه مجرد شيءٍ تحبُّ اللّعب به لا أكثر، ثم طرقت باب شقّة الآنسة
سبينك والآنسة فورسيل.

فتحت الآنسة سبينك الباب، وقالت: «أهلاً يا عزيزتي».

قالت كورالايين: «لا أريدُ الدُّخول. أردتُ فقط أن أعرف كيف حال هاميش».

تنهَّدت الأنسة سبينك مجيبةً: «الطَّبيب البيطري يقول إن هاميش جُندي صغير شجاع. لحسن الحظَّ أن الجرح لا يبدو ملوثاً. لسنا نتخيَّل ما الذي فعلَ به شيئاً كهذا. الطَّبيب يقول إنه يظنُّه حيواناً ما، لكنه لا يدري أيُّ حيوان. السيّد بوبو يقول إنه يحسبه ابن عرس».

«السيّد بوبو؟».

«الرَّجل المقيم بشقَّة الطَّابق العلوي، السيّد بوبو. إنه من عائلة سيرك محترمة قديمة على ما أعتقد، من رومانيا أو سلوفينيا أو ليثونيا أو واحدة من تلك الدُّول. ويحي، لم أعد أذكُّرها».

أدركت كورالايين أنه لم يخطر لها قطُّ أن لساكن الطَّابق العلوي العجوز المجنون اسماً. لو عرفت أن اسمه السيّد بوبو لقالته كلِّها سنحت الفرصة، فكم مرَّة يُتاح للمرء أن يقول اسماً كالسيّد بوبو بصوتٍ عالٍ؟

قالت كورالايين للأنسة سبينك: «أوه، السيّد بوبو، نعم»، ثم أردفت بصوتٍ أعلى: «طيب، سأذهبُ الآن لألعب بدُّماي عند ملعب التنس القديم في المؤخِّرة».

قالت الأنسة سبينك: «هذا لطيف يا عزيزتي»، وأضافت بنبرة واثقة: «أحرصني على الانتباه إلى البئر القديمة. كان السيّد لوفات الذي عاش هنا قبلكم يقول إن عمقها نصف ميل أو أكثر».

أملت كورالين أن اليد لم تسمع هذا الجزء الأخير، وغيّرت
الموضوع قائلةً بصوتٍ مرتفع: «المفتاح؟ أوه، مجرد مفتاحٍ قديم من
بيتنا. إنه جزء من لعبتي، لهذا أحمله معي على هذا الخيط. حسن، إلى
اللقاء».

خاطبت الأنسة سبينك نفسها قائلةً إذ أغلقت الباب: «يا لها
من طفلةٍ غير عادية».

مشّت كورالين الهوينا تقطع الرّوضة صوب ملعب التنس
القديم، وقد دلت المفتاح من الخيط وراحت تُلوّح به.

عدّة مرّاتٍ حسبت أنها رأت شيئاً ما بلون العظم يزحف وسط
النبّاتات الصّغيرة تحت الأشجار، يُجاري حركتها من بُعد ثلاثين
قدماً تقريباً.

حاولت أن تصفر لكن شيئاً لم يحدث، وبدلاً من هذا شرعت
تُغني بصوتٍ مسموع أغنيةً ألفها لها أبوها حين كانت رضيعَةً
وتجعلها تضحك دوماً.

تقول الأغنية:

أوه يا صغيرتي الهزّازة السّاحرة

أرى طبعك الأنيس

أعطيك أطباقاً من الشريد

وأعطيك أطباقاً من الأيس

كريم.

أعطيك كثيراً من القبلات
وأعطيك كثيراً من الأحضان
لكنني لا أعطيك أبداً شطائر
فيها
حشرات.

هذا ما غنته وهي تقطع الغابة متهادية، وكانت الرَّجفة في
صوتها خافتةً للغاية.

وجدت حفلة شاي الدُّمى كما تركتها، وقد أشعرها بالراحة أن
اليوم ليس قويَّ الرِّيح، لأن كلَّ شيءٍ ما زال في مكانه، وكلَّ قدحٍ
بلاستيكيٍّ مملوء بالماء يُثبتُ المِفرش الورقي كما يُفترض أن يفعل.
وهكذا تنفست كورالين الصُّعداء.

والآن الجزء الأصعب.

قالت بيشاشة: «مرحباً أيتها الدُّمى. إنه موعد الشاي!»، واقتربت
من المِفرش الورقي قائلةً للدُّمى: «لقد جلبتُ المفتاح الجالب للحظَّ
لأضمن أن نحظى بنزهةٍ طيبةٍ».

ثم مالت بمنتهى الحذر، وبرفقٍ وضعت المفتاح على المِفرش
وهي لا تزال تُمسكه من الخيط. حبست أنفاسها آملةً أن تُثبتَ أقداح
الماء المرصوفة على حواف البئر المِفرش، وتجعله يتحمّل ثقل المفتاح
دون أن ينهار في البئر.

استقرَّ المفتاح في منتصف مِفرش النزهة الورقي، وأفلتت

كورالين الخيط وتراجعت خطوة إلى الخلف. الآن يعتمد كل شيء على اليد.

التفتت كورالين إلى دُمَاها متسائلة: «هل ترغبين في قطعة من كعكة الكرز؟ جيمينا؟ بينكي؟ پريمروز؟»، وقدمت لكل دُمية قطعة خفية من الكعكة على طبق خفي، وقد أخذت تُثرثر بسعادة.

برُكن عينها رأت شيئاً أبيض كالعظم يجري من جذع شجرة إلى آخر، يقترب ويقترب، لكنها أرغمت نفسها على عدم النظر إليه.

قالت كورالين: «جيمينا! يا لك من فتاة سيئة! لقد أسقطت قطعتك! والآن سأضطرُّ إلى الذهاب وإحضار واحدة أخرى جديدة!»، ودارت حول حفلة الشاي حتى صارت على الجانب الآخر منها قبالة اليد، وتظاهرت بتنظيف قطعة الكعك الساقطة وإحضار واحدة أخرى لجيمينا.

ثم باندفاع منزلة راجفة أتت اليد، تجري مرتفعة على أناملها فوق العُشب الطويل ثم تصعد على جذع شجرة مبتور، وتوقفت هناك لحظة كسرطان بحرٍ يتذوق الهواء، ثم بظفرٍ وثبت وأظفارها تُطَقِّق وحطت في منتصف المِفرش الورقي.

وتباطأ الزمن عند كورالين.

انغلقت الأصابع البيض على المفتاح الأسود...

وفي اللحظة التالية طيرَ وزن وعزم اليد الأقداح البلاستيكية، وهوى المِفرش الورقي بالمفتاح ويد الأم الأخرى اليمنى في ظلام

البثر. عدَّت كورالين بِبُطءٍ بصوتٍ هامسٍ، ووصلت إلى ٤٠ قبل أن تسمع صوت السُّقوط المكتوم في الماء من مسافةٍ بعيدة بالأسفل.

ذات مرّة أخبرها أحدهم أنه إذا نظر المرء إلى أعلى من قاع بثر المنجم فإنه يرى سماء اللّيل والنُّجوم حتى إذا كان في عزّ الظُّهر، والآن تتساءل كورالين إن كانت اليد ترى نجومًا من حيث سقطت.

عادَت تضع الألواح الثَّقيلة على البثر مغطّية إياها بمنتهى الحرص. إنها لا تُريد أن يسقط فيها شيء، ولا تُريد أن يخرج منها شيء.

ثم أعادت الدُّمى والأقداح إلى الصُّندوق وحملتها فيه. لمحت شيئاً ما وهي تفعل هذا، وشدّت قامتها في الوقت المناسب لترى القِطَّ الأسود يتقدّم منها، وقد رفع ذيله عالياً ورسمَ بطرفه علامة استفهام. إنها أول مرّة تراه منذ أيام عدّة، منذ رجعا معاً من عالم الأمّ الأخرى.

تحرك القِطُّ نحوها ووثبَ يقف على الألواح التي تسدُّ البثر، ثم ببُطءٍ غمزَ لها بعينه.

ثم قفز القِطُّ على العُشب الطَّويل أمامها وانقلبَ على ظهره وراح يتلوّى متشيّاً.

حكّت كورالين الشَّعر النَّاعم على بطنه ودغدغته، وأخذَ القِطُّ

يُخْرِجُ مَسْرُوراً، وَلَمَّا اكْتَفَى اعْتَدَلَ عَلَى بَطْنِهِ وَسَارَ عَائِداً إِلَى مَلْعَبِ
التَّنْسِ، يَبْدُو كَرُقْعَةٍ صَغِيرَةٍ مِنْ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ فِي شَمْسٍ مُنْتَصِفِ
النَّهَارِ.

وَعَادَتِ كُورَالَايْنُ إِلَى الْمَنْزِلِ.

كَانَ السَّيِّدُ بُوْبُو يَنْتَظَرُهَا فِي عَمْرِ السَّيَّارَاتِ، وَقَدْ رَبَّتْ عَلَى كَتْفِهَا
قَائِلاً: «الْفُئْرَانُ يَقُولُ لِي إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ، يَقُولُ إِنَّكَ مُنْقَذَتَا
يَا كَارُولَايْنِ».

«اسْمِي كُورَالَايْنُ يَا سَيِّدُ بُوْبُو. لَيْسَ كَارُولَايْنُ بَلْ كُورَالَايْنِ».

رَدَّدَ السَّيِّدُ بُوْبُو اسْمَهَا لِنَفْسِهِ بِعَجَبٍ وَاحْتِرَامٍ، ثُمَّ قَالَ: «لِيَكُنْ
يَا كُورَالَايْنِ. الْفُئْرَانُ يَقُولُ إِنَّ عَلَيَّ أَنْ أُبْلَغَكَ بِشَيْءٍ، أَنَّهُ مَا إِنْ تَكُونِ
مُسْتَعْدَّةً لِتَقْدِيمِ عَرْضٍ عَامٍ فَسَتُصْعِدِينَ وَتُشَاهِدِينَهَا بِاعْتِبَارِكِ أَوَّلِ
جُمْهُورِهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ. سَتُعْزِفُ «تَمْتَيْ أَمْتَيْ» وَ«تُودِلْ أُوْدِلْ»،
وَسَتَرْقُصُ وَتُؤَدِّي أَلْفَ حِيلَةٍ. هَذَا مَا يَقُولُهُ».

قَالَتْ كُورَالَايْنُ: «سَيُرَوِّقُنِي هَذَا كَثِيراً. حِينَ تَكُونِ مُسْتَعْدَّةً».

طَرَقَتْ بَابَ الْآنِسْتَيْنِ سَپِينِكِ وَفُورْسِيْبِلِ، وَأَدْخَلَتْهَا الْآنِسَةُ
سَپِينِكِ إِلَى صَالَةِ الْاسْتِقْبَالِ، حَيْثُ وَضَعَتْ صَنْدُوقَ الدُّمَى عَلَى
الْأَرْضِ، ثُمَّ دَسَّتْ يَدَهَا فِي جَيْبِهَا وَأَخْرَجَتْ الْحَجَرَ الْمُثْقُوبَ قَائِلاً:
«تَفَضَّلَا. لَمْ أَعُدْ مُحْتَاجَةً إِلَيْهِ. إِنِّي مَمْتَنَّةٌ لِلْغَايَةِ. أَظُنُّ أَنَّهُ أَنْقَذَ حَيَاتِي،
وَأَنْقَذَ مَوْتَ أَنَاسٍ آخَرِينَ».

عَانَقَتْ كُلَّتِيهِمَا بِقُوَّةٍ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنْ ذِرَاعِيهَا بِالْكَادِ طَوَّقَتَا

الآنسة سبينك، في حين فاحت من الآنسة فورسيل رائحة الثوم
النَّيء الذي تُقَطِّعُه، ثم حملت كورالين صندوقها وخرجت.

قالت الآنسة سبينك: «يا لها من طفلةٍ غير عاديةٍ». لم يكن أحد
قد احتضنها هكذا منذ تقاعدت عن العمل في المسرح.

ليلتها تمددت كورالين في الفراش وقد استحمت وغسلت
أسنانها، عيناها مفتوحتان مُحدِّقان إلى السَّقْف.

الآن الطَّقس دافئ، حتى إنها - وقد اختفت اليد - فتحت نافذة
غُرفتها على مصراعِها، وقد قالت قبل ذلك لأبيها بإصرارٍ ألا
يُسدِّل الستائر تماماً.

كانت ثيابها المدرسية الجديدة مفرودةً بعنايةٍ على مقعدها كي
ترتديها حين تستيقظ.

عادةً في اللَّيلة السَّابقة لليوم الدَّرَاسي الأول تحسُّ كورالين
بالتَّوجُّس والتَّوتُّر، لكنها أدركت أنه ما عادَ شيء في المدرسة من
شأنه أن يُخيفها.

خُيِّلَ إليها أنها تسمع موسيقى عذبةً في هواء اللَّيل، موسيقى
لا يُمكن أن تُعرَف إلا على أصغر الآلات حجماً على الإطلاق، على
ترومبونات فضيَّة وأبواق نحاسيَّة وزماخر خشبيَّة ونايات وتُوبات
بالغة الرِّقَّة والصَّغر، لدرجة أن مفاتيحها لا تضغطها إلا الأيدي
الوردية الضَّئيلة لفئران بيض.

وتخيَّلت كورالين أنها عادت إلى حُلُمها مع الفتاتين والصَّبي
تحت شجرة السَّنديان في المرج، وابتسمت.

وإذ بدأت باكورة النُّجوم تظهر في السَّماء سمحت كورالين
لنفسها أخيراً بالاستسلام للنَّعاس، فيما انصبَّت موسيقى سيرك
الفئران الرَّقيقة في هواء المساء الدَّافئ، تقول للعالم إن الصَّيف
شارفَ على الانتهاء.

حين تكتشف كورالين بابًا في منزلها الجديد وتدخل منه، تجد نفسها في منزل يُشبه الذي جاءت منه للغاية، لكنه أفضل كثيرًا، ويبدو لها كل شيء جميلًا مبهجًا. هناك تُقابل أمًا أخرى وأبا آخر يُريدانها أن تبقى معها وتكون ابنتها الصغيرة المدللة، يُريدان أن يُغيّرَها ولا يتركاها ترحل أبدًا... وعلى كورالين أن تُقاتل بكل ما لديها من شجاعة وذكاء إذا أرادت أن تنقذ نفسها من هذا السجن وتعود إلى حياتها العادية.

كورالين واحدة من أشهر وأهم روايات الكاتب الإنجليزي نيل غايمن، وعلى الرغم من أنها مكتوبة أصلاً للأطفال فقد حققت نجاحًا هائلًا بين القراء من جميع الأعمار، وحُوّلت إلى أوبرا وعرض مسرحي في برودواي وقصّة مصوّرة، بالإضافة إلى فيلم سينمائي رُشّح لجائزة الأوسكار، كما فازت بأهم ثلاث جوائز أدبيّة للفانتازيا والربع والخيال العلمي، هي "هيوغو" و"نيولا" و"لوكس"، وأكثر من عشر جوائز أدبيّة أخرى، وترجمت إلى أكثر من عشرين لغة.

المترجم

لم يحدث منذ ناربيا أن قاد تصوّف بسيط كفتح باب إلى أخذنا في رحلة رائعة كهذه، ولم يحدث منذ سقطت أليس في جحر الأرنب أن كانت هذه الرحلة مخيفة شديدة الغرابة هكذا. ادخل من الباب وستؤمن بالسحر والحب وقدرة الخير على غلبة الشر.

USA Today Newspaper

نيل غايمن
كورالين



9 789921 723403

منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING

